محمد حسنين هيكل

أحاديث في العاصفة

دار الشروق
للطباعة والنشر

سلســـــــــلة جدران المعرفـــــــة

تنبيه هام :

* نعتذر بشدة ، عن عدم قدرتنا على توفير بعض الصفحات الضائعة فى نسخة كتاب (أحاديث فى العاصفة) . فقد كانت نسخة مهلهلة ، ومقطعة بصورة لا يمكن تخيلها . وهذا حرص منا على المصداقية فى التعامل ، والدقة والأمانة فى النسخ .

الصفحات الضائعة هى { ٦٣ ، ٩٥ – ٩٦ – ٩٧ – ٩٨ ، ٣٦٧ ، ٥٥٠ } .

وحرصاً منا ، على تسهيل قراءة الكتب الكبيرة ..فقد قمنا بتقطيع الكتاب الى (٥) أجزاء ، متوسط عدد الصفحات فى الجزء الواحد (حوالـــى ١٢٥ صفحة) . وقد أرفقنا فى كل جزء ، الفهرس الخاص به . حتى يمكنك الأبحار فى الكتاب بسهولة ، ويسر . وتجدون الفهرس ، على أقصى اليسار (أضغط على كلمة Book Marks) فى برنامج الأكروبت .

* كما أننا نوجه شكر خاص الى كل من ساعدنى وأرسل لى اقتراح او نقد أو تشجيع ، سؤء من خلال الايميل او على صفحات المنتديات أو من خلال الرسائل الخاصة أو على الماسنجر ..... حقيقى ، كنتم نعم العون

واخيرآ ، نحب أن نعلمكم ، اذا كان أى شخص لديه الرغبة فى المشاركة فى هذا المشروع حتى يكون متجدد بأستمرار ، ولا يتوقف ، يتفضل بمراسلتنا ... لمزيد من التفاصيل :

theknowledge_walls@yahoo.com

جـــدران
المعرفـــــة

مقـــدمة

فكرة هذا الكتاب لم تخطر لى ، وإنما خطرت لغيرى ، وبعد تفكير لم يطل رحبت بها

صاحب الفكرة الأصلى هو « دار الشروق » ـ ناشرة هذا الكتاب ـ وملخص الفكرة هو جمع ونشر أحاديث صحفية أجرتها معى بعض الصحف العربية والأجنبية ونشرت خارج مصر فى أيام لم يكن مسموحا لى أن أنشر ـ فضلا عن أن أكتب ـ داخلها

وحينما تأملت الفكرة ثم رحبت بها كانت دوافعى كما يلى :

أولا ـ أن نشر هذه الأحاديث يسد فجوة زمان حوصرت فيها آرائى فى شئون الساعة وأحداثها ، وصحيح أنها شئون وأحداث سبق توقيتها ومع ذلك فقد بدا لى أن جمعها ونشرها بين دفتى كتاب يجعل السجل كاملا وواضحا . وهذا فى حد ذاته مطلوب

ثانيا ـ إنه وإن كان التوقيت الذى صدرت فيه هذه الأحاديث قد سبق زمانا فإن موضوعات هذه الأحداث لاتزال حالة وربما أيضا لاحقة . فبعض الأحداث قد يذهب عنها وهجها الإخبارى المرتبط بالتوقيت ، لكن بعض قيمتها يظل باقيا لأن الأحداث الهامة تتحول فى كثير من الأحيان من أخبار إلى قضايا .

وثالثا ـ وهذه نقطة مهمة تستحق بعض الإفاضة ـ فإن مجموعة الأحاديث التى أدليت بها لتنشر خارج مصر ـ وخصوصا فى العالم العربى ـ كانت هى الذريعة التى وقع الإستناد إليها فى تلك الأيام للترويج لتهمة غريبة وجهت إلىّ ـ كتابة وخطابة ـ تدعى بأننى « أسأت إلى سمعة مصر خارجها » ! ! وتذرعا بها جرى سحب جواز سفرى ، ومنعى من مغادرة مصر ، وتحويلى إلى المدعى الاشتراكى للتحقيق معى طوال ثلاثة شهور من صيف سنة ١٩٧٨ .

ووقتها كان المناخ المحيط بى غريبا وممعنا فى غرابته .

- من ناحية كان هناك من نشطوا للترويج بأننى هاجرت من مصر وأقمت خارجها (ولم يكن هذا بالطبع حقيقى) .

ولقد بلغت عملية الترويج لهذه المقولة حدا أصابنى بشئ من الحساسية فى بعض اللحظات . ولابد أن أعتذر الآن لكثيرين قابلتهم تلك الأيام فى مصر ، فإذا هم يبدأون تحيتى تهنئة بسلامة العودة ، ويفاجأون منى برد تحمل نبراته معنى العتاب ـ متسائلا : « العودة من أين ؟ » ويبدو الإرتباك على السائلين بحسن نية فيستوضحون بتردد : « ألم تكن مقيما خارج مصر ؟ » .

وربما كان يجب أن أفهم أكثر وأن أعذر ، فحملة الترويج كانت قوية ثم أن ملابساتها كانت محيرة ، فقد وجد الناس فجأة أننى لا أقول شيئا وإنما يقال عنى الكثير دون اعتراض من جانبى يظهر أمامهم . ولم يخطر ببالهم أن القول من جانبى مصادر ، وأن القول عنى مباح ، أو لعله مستباح .

● ومن ناحية أخرى فقد وجد الناس أن رئيس الدولة نفسه فى ذلك الوقت يقود حملة الهجوم علىّ . ولم يتصور أحد منهم أن مواطنا عاديا يستطيع أن يعيش فى بلد ـ أى بلد ـ تحت سلطة رئيس دولة يناصبه العداء شخصيا وعلنيا . ولا يترك مناسبة عامة يتكلم فيها دون أن يشير إليه تلميحا أو تصريحا باتهامات وصلت أحيانا إلى « الخيانة العظمى » ! !

وإذن فلابد أن هذا المواطن بعيد ، مطمئن هناك فى ابتعاده . ولابد أيضا أن رئيس الدولة معذور فهو لايستطيع أن يطول بيده واحدا من رعايا دولته . وإذن يناله بالكلام مادام غير قادر على أن يطوله بالفعل .

ومن الغريب فى تلك الأيام أن بعض الذين كانوا يعرفون حقيقة وجودى طوال الوقت فى مصر لم يجدوا تفسيرا لإصرارى على البقاء فيها رغم جو العداء الموجه إلىّ من « أعلى المستويات فى الدولة » ـ إلا تفسيرا واحدا وهو « أننى لابد أملك من الأوراق والمستندات ما يعطينى حصانة تردع هذه « المستويات العالية » عن أن تمد يدها نحوى بأذى » ـ ولم يكن هذا صحيحا ، والصحيح فيما أظن أنه كان هناك تحسب من ردود فعل خارج مصر خصوصا فى أوروبا وأمريكا ، وحيث كانت تنشر كتاباتى الممنوعة فى وطنى . ومع ذلك فان هذا التحسب انتهى مفعوله عند لحظة معينة وجدت نفسى فيها مع آلاف غيرى ضمن حملة اعتقالات سبتمبر ١٩٨١ .

ولعلى أجازف وأقول أن هناك كثيرين ـ على اختلاف نحويهم والأسانيب ـ كانوا

يريدوننى خارج مصر وليس داخلها ـ وصامتا إذا أمكن . وحتى لو تكلمت من خارج مصر فالأصداء بعيدة والقول مردود لأن إيثار السلامة فى الأوقات الصعبة مرادف للهرب

ولقد أشرت إلى اختلاف النوايا والأساليب لأن بعض النوايا بدت لى سليمة ، ولازالت تبدو لى كذلك .

وعلى سبيل المثال فان القرار بابعادى عن « الاهرام » وتعيينى مستشارا لرئيس الجمهورية صدر يوم الجمعة الأول من فبراير سنة ١٩٧٤ . ونشر صباح يوم السبت ٢ فبراير ، وفى نفس هذا اليوم قررت أن أذهب إلى « الاهرام » وأسلم بنفسى كل أموره إلى الدكتور « عبد القادر حاتم » الذى عين رئيسا له خلفا لى ، وكان ذلك مثار دهشة ولعلها كانت ظاهرة غير مسبوقة وغير ملحوقة أن يذهب مسئول عن عمل أبعد عنه إلى المسئول الذى تلاه ـ ليقضى معه ساعات طويلة يسلمه فيها كل خيوط المسئولية ويضع تحت تصرفه حقائقها وأدواتها .

وتصور كثيرون أننى أتصرف بهذا « الإنضباط » من باب الحرص على إبقاء « الصلات » وثيقة و « الأبواب » مفتوحة . وهكذا توقعوا أننى سوف أخرج من « الاهرام » حيث مكتبى القديم لأذهب إلى قصر عابدين حيث أعد لى مكتب جديد وربما من هنا أيضا اتصل بى وزير شئون رئاسة الجمهورية وقتها يخطرنى بعدد حجرات الجناح الذى أعد لى فى عابدين ويسألنى « إذا كنت أرغب فى انتداب أحد من سكرتاريتى الخاصة إليه معى من « الاهرام » » . وفوجئ الرجل الكريم ـ السيد « عبد الفتاح عبد الله » ـ حينما قلت له « إننى لا أنوى الذهاب إلى قصر عابدين وإنما أنا خارج من « الاهرام » إلى بيتى حتى أعثر على مكتب أعمل منه كصحفى وكاتب مستقل »

ثم تأكد موقفى حين أدليت بتصريح لكل وكالات الأنباء ومندوبى الصحافة العالمية الذين أحاطوا بى يسألوننى تعليقا على ما حدث ، وكان ردى ـ وهو مسجل على أجهزة عشرات الوكالات ومنشور بنصه فى الصفحة الأولى من جريدة « التيمس » وفيه قلت « إننى استعملت حقى فى التعبير عن آرائى بصراحة . ثم إن الرئيس السادات استعمل سلطته فى اخراجى من الاهرام ، وهذا هو كل شئ ، وفى كل الأحوال فلقد تركت منصبا ولم أترك مهنة » !

وبعد ظهر هذا اليوم جاء إلى بيتى عدد من الأصدقاء المتصلين وقتها بالرئيس « السادات » وبى ، وضمنهم المهندس « سيد مرعى » والسيد « إسماعيل فهمى » والسيد « أشرف مروان » ، وكان رأيهم جميعا « أنه من الضرورى أن أنفذ قرار الرئيس وأن أتسلم العمل مستشارا له فى قصر عابدين » . ولم يكن ذلك رأيى .

ولم تمض غير أسابيع حتى بدأت محاولات إقناعى بـ « الود » أن أبتعد عن مصر ولو شهور قليلة . وكان بين ماطرحوه علىّ فى تلك الأيام منصب السفير المصرى فى لندن . وقال لى الشخص الذى حاول اقناعى بالقبول حرصا فى ذلك الوقت ـ كما أظن ـ وكرما « إن العلاقات بينى وبين الرئيس (السادات) عائدة إلى مجاريها فى يوم من الأيام . والمشكلة هى « عنادى » وأننى « أضع رأسى برأسه » . « وحاولت أن أشرح بصدق أن اقتناعى برأى فى قضايا مصير مثل فك الارتباط مع إسرائيل والتحرك نحو صلح منفرد معها لايمكن أن يكون عنادا وإنما قصاراه أن يكون موقفا تؤكد الحوادث صحته أو خطأه ـ فإذا ثبتت صحته فقد قلت كلمتى . وإذا كان خاطئا فالتبعة علىّ وحدى . وفى كل الأحوال فإننى أفضل أن أقول رأيى ـ حتى ولو ثبت خطأه ـ على أن أساير كل قرار يصدر عن السلطة بصرف النظر عن اقتناعى أو عدم اقتناعى به ـ وأما أننى أضع « رأسى برأس الرئيس » فهذا تجنٍ على الحقيقة ، فأنا رجل طوف بالدنيا وبالحياة طولا وعرضا وهذا وحده كاف ليظهر أمام كل ذى عينين أن هناك حدودا لابد من احترامها ، وإن كان لابد أن أقول إن رؤية الحدود واحترامها ليس معناه الوقوف أمامها بالعجز أو الخضوع لها بالتسليم !

وقيل لى ـ والقائل لطيف ورقيق ـ « أن الرئيس يعتقد أننى أريد أن أفرض عليه آرائى » ـ وقلت « إننى لا أعرف كيف يستطيع صحفى لايملك غير قلمه وما يستطيع هذا القلم أن يقنع به ـ أن يفرض رأيا على رئيس الدولة . أن القلم ليس جيشا ولا بوليسا ولا حزبا ولاتنظيما حتى يستطيع أن يرغم رئيس دولة على أن يقبل كرها بما لم يكن مستعدا للقبول به طوعا ؟! »

وتمسك القائل بفكرة سفارة لندن « فلك فى العاصمة البريطانية أصدقاء كثيرون . والناشرون الدوليون لكتبك هناك . ثم إن لندن عاصمة حافلة وحيه وتستطيع أن تختار معك وزيرا مفوضا يحمل عنك عبء الأعمال الرسمية والاستقبالات والذهاب إلى المطارات

وأتذكر أننى قلت « إننى مضطر للدفاع عن تمثيلنا فى لندن . سفارتنا لدى بلاط سان جيمس . لقد أصبحنا نعامل هذا البلاط بطريقة لاتليق . أصبحنا نرسل إليه سفراء من رجال

وضعناهم فى منطقة الظلال بين الرضا والغضب . أعنى هؤلاء الذين انقلب الأمير عليهم لكنه لايريدهم أن ينقلبوا عليه !

(قبل عرض سفارة لندن علىّ كان فيها السيد « كمال رفعت » ، وبعد العرض .

علىّ كان الذى عين لها هو الفريق « سعد الدين الشاذلى » !)

المهم .. كانت المحاولة لابعادى عن مصر فى ذلك الوقت ودية بل وأظن ـ كما قلت ـ أن الباعث إليها كان حرصا وتعاطفا .

لكنه كان هناك آخرون ـ فى ذلك الوقت ـ وجدوها فرصة . وكان بينهم من حاول بوسائل متعددة ـ منها التخويف ـ أن يقنعنى بالخروج ولم تجد الوسائل كلها . ولعلى أقول الآن أننى لم أخرج ليس عن شجاعة بقدر ماكان عن تمسك بالحياة لأننى كنت أعتقد ـ ولا أزال ـ أن حياتى هنا !

وربما جاء الوقت الآن ـ وفى صدد نشر هذه الأحاديث فى مصر بين دفتى كتاب ـ لكى أوضح بعض زوايا رؤيتى لتلك الحقبة الحرجة من عملى وحياتى :

١ ـ إننى اختلفت مع السياسة الرسمية للحكومة المصرية بعد حرب أكتوبر وكان إختلافى بالتحديد فى موضوع فك الإرتباط الأول الذى وجدته من وجهة نظرى مؤديا بالحركة الذاتية للمواقف ـ إلى صلح منفرد مع اسرائيل . كذلك كان اختلافى مع مجمل توجهات سياسة مصر العربية والخارجية ـ بما فيها الإعتماد الكامل على الولايات المتحدة الأمريكية . وإلى جانب ذلك فقد كنت واثقا أن هذه التوجهات جميعا سوف تكون لها ـ على نحو أو آخر ـ تأثيراتها على السياسة الداخلية فى مصر .

وأبديت آرائى وأسباب خلافى بصراحة فيما كتبته فى « الأهرام » وقتها وجمعته ـ بعد ذلك ـ فى كتاب تحت عنوان « عند مفترق الطرق » وكان مفترق الطرق فعلا. فقد تركت مكانى فى رئاسة تحرير « الأهرام » ولم أقبل منصبا آخر مما عرض علىّ وقتها مؤمنا بأننى لا أستطيع أن التزم بمسئولية خارج قناعاتى . ولم أغير موقفى من يومها وإلى الآن .

٢ ـ وفى الوقت الذى اتخذت فيه هذا الموقف فقد كنت أعى مقدما ومسبقا أن المشاكل تنتظر على أول ناصية على الطريق ، ذلك أننى ـ بحكم الواقع العملى والإنسانى ـ

لست « موظفا » استغنى بنفسه أو استغنوا هم عنه فإذا ابتعد أو أبعد فظلال التقاعد مكانه والصمت نفسه صوته ، وإنما أنا صحفى وجوده فى الكلمة ودوره فى الحرف مكتوبا أو مسموعا .

ولقد قلت ذلك بالضبط فى لقاء مع الرئيس الراحل « أنور السادات » فى شهر نوفمبر ١٩٧٤ (بعد قطيعة شهور) قلت له بالحرف :

- « إننى أطلب سعة صدره فأنا لن أتقاعد عن الكتابة والكلام خصوصا وأن هناك فى الموضوع قضية » .

وقلت :

- « إننى آثرت الصمت منذ تركت الأهرام - ٢ فبراير ١٩٧٤ - حتى الآن - نوفمبر ١٩٧٤ - لأنى كنت مشغولا بالانتهاء من كتابى « الطريق إلى رمضان » ولكنى بعده سوف أعود إلى التعرض للشئون الجارية وسوف أبدى رأيى فيها فى صحف خارج مصر تريد أن تنشر ما أكتب ، ومناى أن لايتسبب ذلك فى صدام - لاسمح الله - أو صراع ، مع العلم بأننى فيما سوف أكتبه سأظل ملتزما بالموضوعية وبما أراه من منظورى الخاص محققا للصالح العام للأمة . »

وأشهد على أن رده علىّ فى ذلك اللقاء كان وديا فقد قال لى :

- « هذا حقك وأنا لا أعترض حق أحد » !

لكن الأمور تطورت لسوء الحظ بعد ذلك على غير ما أبدى وعلى غير ماقصدت

٣ - ولقد رحت بعد لقائنا أكتب وأتحدث من مصر ، وكنت أعتبر أن هذه شهادة للنظام . من ناحية فهذا هو معارض لسياساته يبدى رأيه من داخل سلطته ، وكنت فخورا بذلك معيدا ومزيدا فى ذلك الوقت بأن « هذه الظاهرة الحضارية لايمكن أن تحدث فى العالم العربى إلا فى مصر » .

ومن ناحية أخرى فقد ظللت على اعتقاد بأن بقائى فى مصر وتحت سلطة نظامها يعطى مصداقية لما أقول كتابة وكلاما - فالقول لابد أن يكون مسئولا لأنه ليس فقط فى ظل القانون وإنما أيضا فى مطال السلطة .

وربما من ناحية ثالثة فقد تصورت أن قولا يصدر من مصر ومن منطلق قومى وخلافا مع سياسة رسمية ضيقت على نفسها ـ ولا أقول الآن أكثر ـ يمكن أن يصلح كرسالة موجهة إلى العالم العربى بأن مصر كلها لم تتغير ولم تنقلب بين يوم وليلة من النقيض إلى النقيض ، وظننت ـ وليس كل الظن إثما ـ أن ذلك قد يكون نافعا .

٤ ـ وحين توالت الشواهد على الغضب مما أكتب وأقول ولاحت بوادر الخطر فى حملات تشهير منظمة واسعة النطاق ـ فإن فكرة الخروج من مصر ظلت بعيدة عن خواطرى كما كانت منذ أول لحظة . فأنا لا أحب وضع اللاجئ السياسى وبالذات لصحفى لأنه إذا ابتعد عن جذوره وعن مناخه الطبيعى انتقل من عالم الحقائق إلى عالم الأوهام ، ومن دنيا الناس إلى دنيا الأشباح ، وذبلت الأفكار فى رأسه كما تذبل الزهور حتى وإن وضعت فى أوان من الذهب !

وهكذا فإنه عندما منعنى المدعى الاشتراكى من السفر ـ ١٩٧٨ ـ وجدنى فى مصر . وحينما أراد سحب جواز سفرى وجده فى درج مكتبى . وحتى حين أرادوا اعتقالى بعد ذلك فى سبتمبر ١٩٨١ لم يذهبوا إلى أبعد من الاسكندرية لكى يجدونى على شواطئها ، ومن هناك نقلت إلى السجن .

٥ ـ خلال هذا كله ـ الحملات وتحقيق المدعى الاشتراكى والسجن ـ فلقد كان الاتهام الموجه الىّ وبدون تفاصيل أو أسانيد هو « أننى بما كتبت وقلت خارج مصر أسأت إليها » ـ ولهذا وجب الحساب والعقاب !

ولقد تم الثانى ولم يسبقه الأول ـ أى حل العقاب ولم يقع الحساب .

وشاءت المقادير أن يختصر العقاب قبل أن يأخذ مداه ويستوفى ما كان مكلفا به . وانقضى عصر ، واختلف جو ، وتغيرت آفاق .

وطوال الوقت فقد كان منای أن ينشر فى مصر شئ مما قيل أننى أسأت به إلى سمعتها لكى يحكم الناس !

ومع ذلك فلم يخطر ببالى على الفور وقتها أن أبادر بتصحيح أو توضيح ، فقد ظننت أن الأيام كفيلة بأن تضع كل أمر فى نصابه وترد كل حق إلى موضعه .

وأنا فى العادة عزوف عن استعمال حق الرد خصوصا فى ظروف لاتسمح بالحق من أصله . ومن ثم تصبح ممارسة الفروع ـ أو محاولة ذلك ـ نوعا من ضرب الرؤوس بالجدران ، وحتى لو لم تكن كذلك فان القول المأثور عن « برنارد شو » يبدو مقنعا لى : « إنهم يقولون ـ ماذا يقولون ؟ دعهم يقولون » !

٦ ـ وفى تلك الفترة صال وجال كثيرون ـ أسميهم فى العادة « فرسان الساحات الخالية » ـ هؤلاء الذين يرمحون فى ميادين يعرفون مقدما أنه ليس فيها « عدو » وبالتالى ليس عليها قتال .

وحين وصلت إلى من بعيد صرخات « فرسان الساحات الخالية » التى كان مقصودا بها إرهاب « العدو » قبل ملاقاته لم أجد فيها ما يغرينى أو يدعونى إلى الاصغاء لاصواتها ، أو انتظار أصدائها !

لقد خرجت مرتين اثنتين بالعدد عما آثرت الالتزام به .

● مرة حين نشرت إحدى الصحف عنوانا رئيسيا فى صفحتها الأولى تعليقا على رأى أبديته خارج مصر بمعارضة « رحلة القدس » قالت فيه بالحرف « واحد ضد مصر » ـ كان ردى على ذلك كلمة واحدة فى نهاية مقال نشر أيضا خارج مصر جاء فيها « بل واحد من مصر » !

● وفى المرة الثانية كان ردى كتابا عنوانه « بين الصحافة والسياسة » وهو يحكى بنفسه قصته ولا أريد أن أعود إليها لأن القصة فى حد ذاتها مؤلمة وحزينة . وقد كنت أفضل أن أكتم تفاصيلها فى نفسى ولكن أصحابها لسوء الحظ لم يتركوا لى خيارا غير أن أروى الحقيقة كاملة وبوثائقها !

٧ ـ وخلال هذا كله لم يكن يراودنى شك فى أن الظروف سوف تتغير وأنه سوف يجى يوم ينفذ فيه ولو شعاع ضوء يكشف لكل الناس ما لابد أن يروه .

ومن الحق أن أعترف أن صحف المعارضة فى مصر ـ وبالتحديد « الاهالى » و « الشعب » ـ حاولت ما استطاعت أن تصلنى بالقارئ المصرى ـ لكن صحافة المعارضة مظلومة فوسائلها محدودة ومجال حركتها مقيد ، ومن ناحية أخرى فقد كنت أشعر طول تلك

الفترة أن المساحات التى تخصصها هذه الصحف أحيانا لما أقول أو أفعل هى عملية خصم من حقوق أحزابها وكتابها الذين هم أصحاب الحق قبل غيرهم فى مساحات صفحاتها

ثم تحوّل شعاع الضوء إلى نافذة تفتحت كاملة للشمس من حيث لم أحتسب وأتوقع وهذه مفارقة غريبة .

فقد كانت النافذة هى جريدة « أخبار اليوم » ورئيس تحريرها الأستاذ « إبراهيم سعدة » .

ولابد أن أعترف له أننى تشككت فى نواياه حينما زارنى فى مكتبى فى أواخر سنة ١٩٨٥ ليقول لى أن صفحات « أخبار اليوم » مفتوحة أمامى إذا أردت .

ولقد كان مبعث تشككى هو اختلاف آرائنا وتوجهاتنا .

وربما من هنا فإننى وضعت عرضه موضع الإختبار العملى . وأشهد أنه كان عند وعده وتحمل بسببه راضيا ما جعلنى ـ رغم اختلاف الآراء والتوجهات ـ أعتبره صديقا يتحتم علىّ أن أعفيه من مآزق قادته اليها جرأته

لقد قبلت عرضه بالكتابة فى « أخبار اليوم » متشككا فيها

ثم أعفيته من حرج الكتابة فى « أخبار اليوم » متعاطفا معه لأن ماكتبته أغضب أكثر مما أرضى !

ثم طرأت فكرة هذا الكتاب لدار الشروق . واستمعت لها وفكرت ورحبت أملا أن نملأ ثغرة وأن تستكمل السجل كما قلت .

وكان ماكتبته أو نشرته فى فترة الحظر علىّ فى مصر يندرج تحت عدة بنود :

١ ـ بند الكتب الكاملة التى نشرتها باللغة الانجليزية وترجمت عنها إلى عشرات اللغات بينها العربية . ومن نماذجها مثلا « وثائق القاهرة » و « الطريق إلى رمضان » و « القوميسار وأبو الهول » و « عودة آية الله » و « خريف الغضب » و « ملفات السويس » . إلى آخره ـ وهذه موجودة مطبوعة ومنشورة

٢ ـ بند المقالات المكتوبة بلغات أجنبية والتى نشرت فى صحف مثل « التيمس »

و « الصنداى تيمس » و « النيويورك تيمس » وغيرها ـ وهذه تحتاج إلى ترجمة للغة العربية قد تسنح لها فرصة ذات يوم

٣ ـ بند المحاضرات فى جامعات عالمية (مثل جامعة « أوكسفورد ») أو محافل دولية (مثل « اليونسكو ») ـ وهذه أيضا تحتاج إلى ترجمة للغة العربية عليها أن تنتظر دورها

٤ ـ وأخيرا فقد كانت هناك الأحاديث الصحفية التى أدليت بها خارج مصر وبالذات صحف العالم العربى على أراضيه نفسها وفى مهاجره البعيدة . ولقد كان ذلك بالتحديد هو جوهر الفكرة التى طرأت لـ « دار الشروق » ورحبت بها شاكرا ومقدرا

ولقد رجوت الصديق الأستاذ « فهمى هويدى » أن يتولى إختيار الأحاديث التى يضمها هذا الكتاب من بين كم هائل جمعته « دار الشروق » ، ورجوته أن يكون نشر الأحاديث بنصوصها كما كانت لاتتغير كلمة ، ثم أن يظهر مع كل حديث تاريخ نشره والصحيفة التى نشرته ثم اسم الزميل أو الزميلة التى أجرته معى وعندما اطلّعت على النتيجة النهائية للاختيار كان عرفانى للصديق الذى قام بهذه الأمانة صادقا وعميقا

وبعد فهذه نماذج من أحاديث قيلت فى وجه العاصفة وكل أملى من نشرها ـ كما أسلفت ـ أن تطرح موضوعها . وأن تستكمل السجل ، ثم أن تجلو وجه الحقيقة .

محمد حسنين هيكل

«ستقع حرب خامسة . . وسادسة»

قبل أن يبدأ جولته فى المشرق العربى بزيارة بيروت التى يصلها اليوم (١٤ يناير ١٩٧٥) . تحدث الأستاذ محمد حسنين هيكل عن سبب هذه الجولة . قال أنه فى صدد وضع كتاب عن العالم العربى « أحكى فيه رؤيتى لهذا العالم إلى الرأى العام فى الخارج » . وتحدث أيضاً عن أزمة الشرق الأوسط قائلاً أنه يتوقع حرباً خامسة وسادسة ، وأن السلاح النووى لن يستخدم لا فى المنطقة ولا فى غيرها . وتطرق إلى سلاح النفط . فقال إن البترول استفاد من أزمة الشرق الأوسط أكثر من استفادة هذه الأزمة منه .

● جريدة الأنوار اللبنانية (١٤/ ١/ ١٩٧٥) ـ هدى الحسيني .

عن أسباب الجولة العربية التي قام بالجزء الأول منها إلى المغرب مروراً بالجزائر ثم تونس، قال محمد حسنين هيكل: السبب أنني أضع كتاباً عن العالم العربي. الفكرة؟ نحن الآن في الربع الأخير من القرن العشرين ونشرف على القرن الحادي والعشرين بكل تحدياته. العالم العربي بارز كقوة من القوى التي ستؤثر في الربع الأخير من القرن العشرين وسيكون لها دور كبير في تشكيل القرن الواحد والعشرين، لأن المنطقة منطقة صدام ليس فقط صداماً محلياً ولكن صدام قوى كبرى، أقصد صداماً محتملاً.

المنطقة، كما ترين، فيها مصالح حساسة جداً للغرب، وهي مهمة جداً بالنسبة إلى الشرق. المنطقة تولد أكبر كمية نقد موجودة في العالم أكبر طاقة مالية، وتؤثر تأثيراً كبيراً.

وبالإضافة إلى أن دول الشرق الأوسط مقر حضارات وممر استراتيجي، فهي أيضاً مهمة في الفترة المقبلة. كانت مهمة وستزداد أهميتها أكثر وأكثر. ونتيجة لهذه الأحوال، وجد تشوق كبير لمعرفة كل ما يتصل بالعالم العربي.

للعالم العربي، عدة صور منعكسة في الخارج وكلها فيما يبدو بعيدة عن الحقيقة. منها صورة العربي الإرهابي وهذا ليس العالم العربي. منها صورة العربي البدوي التي ساهم في رسمها لورنس، ومنها صورة العالم العربي الذي يسافر للمقامرة في الكازينوهات. وكلها صور غير صحيحة. والسؤال: أين هو العالم العربي الحقيقي وسط هذا كله؟

أوروبا الغربية كلها تعتقد أن العالم العربي سبب أزمة الطاقة وسبب أزمة النقد. هذه الصور موجودة.

كيف جاءت فكرة الكتاب؟ كنت موجوداً في لندن أضع مقدمة كتابي الذي يصدر في فبراير (شباط)، وحدث مرات كثيرة أن اشتركت بمناقشات عن العالم العربي، وبعض الناس، بعض الناشرين وبعض كبار الصحافيين الغربيين بدأوا يظهرون اهتماماً كبيراً بالعالم العربي. ثم حدث أن وجه إلي اقتراح: «لماذا لا تكتب عن العالم العربي؟ نحن مهتمون ونعتقد أن هناك الكثير من الناس المتشوقين، فما رأيك لو تكتب عن العالم العربي؟».

أنا كنت أضع تصوراً آخر، لكتاب آخر، فأعطينا الأسبقية لكتاب العالم العربي. هذه هي الفكرة. وفعلاً هناك تشوق كبير عند الناس لمعرفة ماذا يحصل في العالم العربي.

● **بالنسبة لجولتك، كيف تقيم العالم العربي الآن؟**

■ سأقول لك.. أولاً لماذا أقوم بالرحلة؟ أعرف كفاية عن العالم العربي. وكنت أستطيع البقاء في القاهرة والكتابة عن العالم العربي، خصوصاً وأن المطلوب ليس تاريخاً للعالم العربي أو تقييماً لدوره. المطلوب مني، رؤيتي أنا للعالم العربي.. وسأحكي كيف أراه، للرأي العام في الخارج.

● هل تختلف وجهات النظر أو الفكرة التي تريد أن توجهها للعالم الغربي عن فكرتك للعالم العربي؟ وهل هناك فكرتان؟.

■ لا وجود لفكرتين. إنما كما يقولون «مراعاة مقتضى الحال» هكذا تعلمنا في المدارس. على سبيل المثال: لو كنت راغباً بالكتابة عن العالم العربي داخل العالم العربي، لكنت وضعت كتاباً يفجر الدنيا كلها، لأنني سأضع التناقضات التي أنا طرف فيها، مع أطراف عربية أخرى موجودة. لكن، عندما أكتب كعربي للعالم الخارجي، فأحاول أن أعكس العالم العربي كما هو، وكما أريد أن يراه الناس في الخارج، ليس بكذب أو زيف أو دعاية. لا أحد يقبل منا هذا الكلام. إنما جنب الحقيقة، لكن تشعرين أن هنّاك أشياء لا تخوضين فيها.

وعندما أرغب أن أكتب عن العالم العربي.. تجربتي فيه.. العالم العربي كما رأيته في العشرين سنة الماضية، أو ما أتصور أنه آتٍ، فيجب أن أدخل في

مشاكل كبيرة. وهذا في رأيي نوع آخر. الواحد عندما ينتهي من كل ما يرغب في كتابته للعالم، يستطيع عندئذ أن يتفرغ فيجلس ويثرثر ويفرقع الدنيا، «مش مشكلة».

● **نعود إلى تقييمك للعالم العربي.**

■ كما قلت لك، أنه باستطاعتي الكتابة وأنا في القاهرة. لكن هناك شيئاً غريباً، سأقوله. أنا كنت أفكر في القيام بهذه الرحلة قبل أن تأتي حكاية الكتاب. لماذا؟ مضت فترة بعدت خلالها عن العالم العربي. بعدت بالملامسة المباشرة، بالرؤية الذاتية وبعدت عن الناس. ظهرت قيادات أنا لا أعرفها. مثلاً: أكاد لا أعرف أحداً في العراق. أكرر ظهرت قيادات جديدة آخر مرة دخلت فيها سوريا كانت في فبراير (شباط) ١٩٦١. لهذا شعرت وأنا أكتب عن العالم العربي وقضاياه أن الأمر إلى جانب المتابعة، وكوني أرى الكثير من الناس وأقرأ باستمرار. شعرت مثلاً، أنه من الضروري «وضع الأصبع» على تبض العالم العربي. كنت أفكر في القيام بالرحلة دون أية أسباب ثانية.

شعرت أنني ابتعدت عن العالم العربي ومن المفيد أن أسافر وألقي نظرة، طالما أنني أفكر بالكتابة.

لم يكن في ذهني أن أضع كتاباً عن العالم العربي. إنما قضية الكتابة التي أنا متمسك بها. ولما أتت هذه الفكرة، أصبحت مصراً على الخروج للقيام بهذه الرحلة ضمن إطار الكتاب.

ما هو تقييمي للعالم العربي؟ أنا أتصور، بلا جدال، أن العالم العربي يتغير بسرعة. العالم العربي فيه ثروة كبيرة، والعالم العربي هو في منطقة صراع واحتكاك، والصراع والاحتكاك يصحيان الدنيا كلها. إذن العالم العربي هو منطقة على الحركة العنيفة.

انظري إلى العالم العربي الداخلي عنده صرخة كبيرة اسمها التنمية. الكل يصنع أو يحاول التصنيع. البعض الأول خطأ، الثاني يذهب هدراً في البحر. وفي البعض، الناس يضحكون علينا لكن في النهاية هناك جزء كبير من هذه التجارب

باق. العالم العربي متجه بأقصى قوة للتصنيع. العالم العربي متجه بأقصى قوة للتعلم. هناك قوى وتيارات تاريخية تجعل العالم العربي يتحرك حتى لو لم يشأ. وهو من أكثر المناطق تحركاً في العالم في رأيي.

بالنسبة لانطباعي، أقول إننا فعلاً في عالم يعيش على الحركة، مليء بالتفاعلات، وبالتالي يتغير باستمرار. أنا كنت في الجزائر، والجزائر تتغير تغيراً قوياً.

● **بعد انتهاء جولتك، ما هي مشاريعك، كتاب آخر؟**

■ بالنسبة للكتب، أعتقد في الفترة حيث عملي فيها مطلوب للسوق الخارجي، أظن أنه واجب قومي أن أخاطب العالم الخارجي..

عندما أقول شيئاً، أكون حذراً. لكنني أقول أن العالم الخارجي عادة لا يطلب منا كتباً سياسية. لا يطلب من العالم العربي كتباً سياسية إذا كان العالم الخارجي هذه الأيام شاعراً أنه يرغب كتباً سياسية عن العالم العربي، ويرغبها من كاتب عربي بالتحديد الظروف ساعدت أن يبقى له اسم في الخارج بشكل ما معروف.. فأتصور أنه من المهم الانتهاء من جزء منها.

أي كاتب في العالم، سواء غربي أو شرقي، له عمر معين، وفترة محدودة. مثلاً، العالم الخارجي سيحتاج إلى كم كتاب مني عن الشرق الأوسط. أربعة كتب، خمسة، سبعة، أنا من أنصار أن أتممها كلها، طالما أن العالم الخارجي يطلب مني كتاباً، ويطلبه ملحاً ومهتماً وجدياً، فيبقى من الواجب أن أؤدي.

أنا سأنهي كتابي الرابع إن شاء الله للعالم الخارجي، وأتصور أن هناك كتباً أخرى.. هناك كتاب آخر، تكلمنا عنه..

● **عن؟**

■ أظن عن الشرق الأوسط أثناء الحرب الباردة.. القوتان الأعظم في الشرق الأوسط في الفترة ما بين الحرب العالمية الثانية لغاية الوفاق..

● لنترك الكتاب قليلاً. هل الدور الذي يعلبه النفط العربي حالياً كاف؟ كاف لخوض حرب دبلوماسية وإثبات قوة العرب؟

■ إذا كان من ناحية إثبات قوة العرب، أعتقد أننا عن طريق النفط أثبتنا هذه القوة. لكن السؤال: هل استعملنا هذه القوة لقضايانا العربية أم لا؟ أعتقد أنه للآن، كلا.

الافتراض الأول صحيح، إننا أثبتنا قوة النفط. أثبتنا قوته جداً كعنصر ضغط. في المقابل أنا أتصور أننا لم نستعمل هذه القوة لصالح القضايا العربية حتى الآن. ربما استعملنا جزءاً واحداً منها، وهو الجزء الخاص بالدعم والمساعدات التي يمكن لدول البترول أن تقدمها لدول المواجهة أو للدول الإفريقية أو لدول أخرى. فيما عدا هذا أنا أتصور أن الدور الذي لعبه النفط سياسياً هو دور المساعدة، لكن بالمقدار نفسه، نحن كنا نطلب من النفط أن يساعد على حل عربي لأزمة الشرق الأوسط.

. لكنني أتصور، أن أزمة النفط استفادت من أزمة الشرق الأوسط أكثر مما استفادت أزمة الشرق الأوسط من أزمة النفط. يعني، كانت هناك مشكلتان، كل واحدة فيهما تبحث عن حل. كانت هناك أزمة نفط، وكان هناك أزمة شرق أوسط. المهتمون بأزمة الشرق الأوسط كان أملهم أن يستعملوا النفط كعنصر ضغط من أجل تهيئة السبيل لإيجاد حل معقول لأزمة الشرق الأوسط، إلى جانب عوامل أخرى طبعاً، منها الحرب.

في الوقت نفسه، كانت هناك قوى أخرى، المهتمة بأزمة النفط تتصور أنها تستعمل أزمة الشرق الأوسط وبما فيها الحرب لخلق ظروف مؤاتية أكثر لموضوع النفط في حد ذاته.

وأتصور أنه في هذا الدور، كان لأزمة النفط رصيد أكبر جداً من أزمة الحرب. بمعنى أن النفط استعمل الحرب أكثر مما الحرب استعملت النفط.

● ما هي إذن بنظرك الطريقة كي يلعب النفط دوره الأهم؟

■ سأقول بأمانة، الدور الأساسي للنفط العربي هو أن يبني عالماً عربياً قوياً. أنا

أعتقد أن سعر النفط الحالي دفع فيه دم أناس، أي هناك دماء دفعت كي يصل سعر النفط الحالي إلى ما هو عليه. وبالتالي، الدخل المتولد عن هذا النفط هو بالدرجة الأولى ملك أصحابه، لكنهم يملكونه ملكية اجتماعية، أو قومية، وهذا يرتب عليهم مسؤوليات أوسع جداً من الحدود الوطنية أو حتى من حدود المساعدات التي تعطى بدافع الأخوة.

حالياً، الأمن العربي واحد. لا يستطيع أحد إنكار هذه الحقيقة. والرخاء العربي بنفس المقدار واحد. ولا يمكن أن يحيطنا رخاء في منطقة وإلى جانبها منطقة ثانية، منطقة جوع. فمع التفاعلات العربية ومع وحدة العالم العربي. سنجد أنفسنا أصبحنا وسط صراع داخلي عربي بين الفقراء والأغنياء، وأعتقد أن هذا الصراع سيؤدي بالعالم العربي إلى مشكلة كبيرة.

مسؤولية النفط:

١ ـ بناء عالم عربي قوي يقدر على المواجهة.

٢ ـ بناء عالم عربي، المتناقضات الاجتماعية فيه أقل، مجتمع عربي ينمو بنفس المقدار.

٣ ـ بلا أنانية، يجب وضع الجهود في التنمية حيث الظروف أكثر مؤاتاة لها.

وإلا سنجد أنفسنا نقوم بأعمال متعارضة. ما يحصل هذه الأيام، هو أن العالم العربي يخلق أسباباً للتعارض فيما بينه داخلياً أكثر مما يخلق أسباباً من أجل الوفاق وليس الوحدة. وسنجد عندنا مصالح متعارضة بدل المصالح المتوافقة. والمصالح المتعارضة ستؤدي إلى صراعات عربية حتى صراعات بالمعنى الدولي العادي، وبدل أن نبني قوة ذاتية لأمة بحالها نبني شظايا أو نزيد التراكمات التي وراء الحدود.

النفط العربي كما أتصور يستطيع أن يقوم بأعمال كبيرة.

● **هل تعتقد أن الحل السلمي أو الحوار الديبلوماسي سيؤديان بالفلسطينيين للعودة إلى الضفة الغربية وقطاع غزة؟**

■ لا يوجد ما يسمى بالحل السلمي العمل السلمي تسول دون نتيجة. ما كنت أحاول قوله، وأرجوكم جميعاً فيه، هو أن تتكلموا عن العمل السياسي. .

ما معنى العمل السياسي؟ يعني أن أذهب وأرجو واحداً، أو إذا أضفت لكلمة السلمي كلمة ديبلوماسي يعني أذهب وأقول القانون الدولي. قواعد القانون الدولي تقول. . لا يوجد في العالم محكمة تمنع حكماً لأي واحد. العالم يعترف بالقوة السياسية، القوة الحقيقية لأي طرف من الأطراف هي التي تكون وزنه وتحدد مجال حركته وتمنحه رقعة ما يستطيع تحقيقه من آمال أو من خطط.

أما إذا قلنا الحل السلمي أو الديبلوماسي، فكأننا نتكلم عن طلب الرأفة أو عن التمسح بحجج القانون الدولي ومحكمة العدل، والاثنان لا مجال لهما. ما أتكلم أنا عنه، هو العمل السياسي.

العمل السياسي هو عمل تدخل فيه جميع الوسائل.

في العمل السياسي، يوجد العنصر الدعائي العنصر الديبلوماسي، العنصر القانوني، العنصر الاقتصادي، العنصر العسكري. وعندما نتكلم عن العنصر العسكري، يدخل فيه العسكري التقليدي والعسكري غير التقليدي، استعمال العنف المشروع في استعادة حق من الحقوق اعتدي عليها بالعنف.

وعندما تسألين هل سيرجعون بعمل ديبلوماسي أو سلمي. . أجيبك لن يرجعوا حتى إلى أي مكان. لكن إذا سألت هل سيرجعون بعمل سياسي أقول لك: نعم سيرجعون حيث يكون للديبلوماسية مجال جيد، ومجال للقتال ومجال للاقتصاد عن طريق أطراف عربية أخرى. . . وهكذا.

● **بعض المراقبين السياسيين يقول أن الحرب الخامسة ستقع مع ربيع ٧٥.. ما هي توقعاتك؟ وهل الحالة الاقتصادية المتدهورة في إسرائيل تسمح لها بحرب خامسة؟**

■ أنا واحد من الناس الذين يعتقدون أن هناك حرباً خامسة، وأقول هناك أيضاً حرب سادسة وأعتقد أيضاً بوجود حرب سابعة، ليس لأني داعية حرب.. أبعد حد عن تصوري أو طبعي أو منطقي أن يتهمني أحد بأنني داعية حرب، إطلاقاً.

لكن الحاصل أنني أرى المنطق الإسرائيلي. هذا المنطق سيجر المنطقة إلى حرب، لأن إسرائيل حتى الآن، غير قابلة للنتائج السياسية للأيام الخمسة الأولى من حرب أكتوبر هذا يترتب عليه أمور كثيرة جداً.

إسرائيل غير قابلة لانبعاث الكيان الفلسطيني مرة ثانية أمامها، متجسداً كحقيقة دولية. أنا أتصور أن إسرائيل إزاء هذا كله لن تقبل سلاماً في المنطقة إلا سلامها. وهنا يوجد تعارض تماماً بين السلامين.

أنا أتصور أن أقصى ما نستطيعه أن نكون فيها معتدلين، وأنا ذكرت لكن قبل مرة، أن عندنا خياراً في حاجتين: إما قرار التقسيم ٤٧، وأما دولة علمانية.

أنا أتصور أن إسرائيل سترفض الدولة العلمانية إذن نصل إلى قرار ٤٧، إسرائيل لن تقبله.

وبسبب كل هذه الظروف التي ذكرتها لن يبقى لإسرائيل إلا اللجوء للقوة. منذ فترة قصيرة أعلن كاتزير رئيس دولة إسرائيل، أن إسرائيل عندها الإمكانية لصنع قنبلة نووية وستفعل إذا اضطرتها الظروف ولو أنه أضاف بعد ذلك على أنها لن تكون البادئة.

لن تكون البادئة؟ هذا كلام يغطي الكلام الذي قاله: إذن نحن داخلون في نوع آخر من التشهير، ولعلك تذكرين مقالاً من مقالاتي كتبتها السنة الماضية وكان عنوانه «القنبلة»، لأنني كنت أتصور أن إسرائيل في رفضها لسلام معقول قد تلجأ إلى التشهير النووي كخطوة أولى.. وها قد بدأت هذه الأيام.

إذن، سنجد أنفسنا داخلين في صدام قد لا نريده، ولكن سيظل مفروضاً علينا. ظروف توازن القوى بيننا وبين إسرائيل. أتصور أن السلاح النووي لن يستخدم في المنطقة ولو أنني من الناس الذين كانوا السنة الماضية يطالبون بأن العالم العربي لا بد أن يبقى عنده رادع نووي على الأقل ليقيه مخاطر التشهير فقط وليس للاستعمال. القنابل الذرية في اعتقادي لن تستعمل لا في الشرق الأوسط ولا في غيره. وأظن أنها إذا استعملت، فستكون في ظروف أخرى، وليس الآن. ولكنني ما أزال أطالب أن تكون عندنا قوة ردع عربية نووية مشتركة، على الأقل تمنح العرب الطمأنينة من التشهير الذري فقط.

إذا استبعدنا الحرب النووية، تبقى موازين القوى الموجودة حالياً وبينها الأسلحة التقليدية، التي أشك كثيراً جداً أن تسمح لطرف من الأطراف أن يقوم بحرب تنهي كل الحروب.. وماذا يبقى إذن؟ ستكون هناك جولة ولكن غير نهائية.

وبعدها، لا أتصور مهما كانت نتيجتها أن إسرائيل ستغير من صلابتها أو عنادها أو عماها. في الصهيونية نوع من العمى.. مثلاً غولدا ماير كانت تقول «أين الفلسطينيون؟ هل هناك شيء اسمه فلسطين.. لا يوجد».. في التفكير الإسرائيلي، شيء غريب جداً، قدرة على الرغبة أو إقناع النفس بالنسبة لأشياء حقيقية وموجودة، ولكن لأنه يتخوف منها، فمن الأوهام يلغي وجودها. الحقيقة موجودة إنما كأنه لا يراها.

ربما أكثر حاجة تنرفز إسرائيل من الأعمال التي يقوم بها الفدائيون أحياناً أنهم يفكرون بأن هناك شيئاً اسمه كذا..

الإسرائيلي يريد أن يقفل هذه الحقيقة. الوجود غير موجود إطلاقاً، لأن هذا يريحه، يريحه ضميرياً وتاريخياً وسياسياً وعسكرياً وكله، لأن حتى من ناحية الضمير وهو سارق، ومغتصب بيت وأرض يشعر كإنسان أن فيه جزءاً معذباً، فيفضل أن يقفل عليه كي لا يراه إطلاقاً. وعندما يقوم الفلسطينيون بعمل يذكر إسرائيل إنهم موجودون، أظن أن الإسرائيليين يشعرون بأزمة ضمير، وهذا ظاهر من تصرفات بعض الناس داخل إسرائيل. أقول هذا كي نبقى منصفين أيضاً.

نعود لما كنت أقوله، فبسبب موازين القوى لا يوجد معركة حاسمة وإسرائيل لن تغير بسهولة. إذن، أتصور الجولة الخامسة ستحصل والجولة السادسة.. بقي فقط مسألة التوقيت.. لا أحد يعرف متى.

.. إن القضية الفلسطينية بعد كل الذي حصل، بعد أكتوبر وبعد النجاح الذي حققته القضية الفلسطينية بالاعتراف العالمي، ربما هناك من يقول: ما أهمية الأمم المتحدة أتت بفلسطين كمراقب. هذا الاعتقاد غلط جداً، لأنه لو تصرفنا هكذا، فيعني أننا ننظر للأمور نظرة سطحية جداً. هذه حقيقة سياسية مسألة في منتهى الأهمية أن فلسطين أصبحت موجودة في الأمم المتحدة.

العالم تعود أن يسمع كلمة فلسطين. تعود أن يرى ممثلي الشعب الفلسطيني. تعود أن يسمع كلمة حق فلسطين، تعود على أشياء كثيرة جداً ويجب أن ننميها.

أنا، ماذا أريد أن أقول؟ أتمنى أن كل الأطراف، كل الفصائل في القضية الفلسطينية يعرفون أنهم بسبب مجهود الأمة العربية كلها، وبسبب تضحيات من ناس من عندهم هم، فالعالم كله حالياً مستعد أن يتقبل. في وقت، هناك عالم مستعد أن يتقبل وأن يسمعك. فهذه فرصة لن تتاح.

وأتصور أن أي فلسطيني ينسى أن العالم يسمعه هذه الأيام وينسى أنه يجب فعلاً أن يكسب أكبر كمية ممكنة من الأرض أمام العالم. وأنا أعتقد أن الفلسطينيين سيكسبون من أرضهم بمقدار ما يكسبون من اهتمام العالم بهذه الأرض.

بالتالي، أنا لا أعرف ما هم فاعلون إنما أتصور أن الوقت جاء ليحاول الفلسطينيون أن يجمعوا أنفسهم، ويعثروا على أرضية مشتركة ويتوجهوا أكثر فأكثر صوب العالم.

حجر زاوية الدور العربي
التنسيق بين مصر وسورية

لم يتقيد الأستاذ محمد حسنين هيكل، تماماً بعزمه على «ان أسمع كثيراً وأتكلم قليلاً، أو لا أتكلم أبداً» في زيارته للبنان، وهو ما أعلنه عند وصوله إلى مطار بيروت في الأسبوع الماضي، بادئاً جولته العربية الثانية لاستكمال صورة الأحداث والآراء والقيادات، قبل إعداد كتابه عن العالم العربي حسب اتفاق وقعه مع صحيفة «الصنداي تايمز» اللندنية، يلزمه بتسليم الكتاب في شهر أيار (مايو) المقبل.

فقد تحدث في نقابة الصحافة اللبنانية وفي «دار الصياد» وفي مكاتب «النهار». وللصحافيين عند خروجه من لقاءات مع عدد كبير من السياسيين.

الجولة العربية الأولى لهيكل، في الاعداد لكتابة، شملت المغرب والجزائر وتونس، حيث قابل الملك ورئيسي الدولتين. الجولة الثانية بدأت في بيروت بالاسبوع الماضي، وتشمل دمشق، عمان، بغداد، الخليج العربي والسعودية. أما الجولة الثالثة فستشمل السودان، ليبيا واليمنيين الشمالي والجنوبي.

في بيروت استقبله الرئيس سليمان فرنجية، الذي دعاه بصحبة عقيلته إلى تناول طعام الغداء. واستقبله السيد ياسر عرفات رئيس منظمة التحرير الفلسطينية. كما عقد لقاءات مع رئيس مجلس النواب كامل الأسعد، رئيس الحكومة رشيد الصلح والإمام موسى الصدر.

والتقى رؤساء تحرير وكبار محرري «دار الصياد» ـ بعدما زار سعيد فريحة في مكتبه.

بدأ الحوار بترحيب من عميد «دار الصياد» سعيد فريحة ثم طرح سؤالا على هيكل عن مستقبل أزمة الشرق الأوسط. فأجاب هيكل:

■ لا أرى أن السلام مقبل. الحل المرهون هو الخيار العسكري الذي أراه بعيداً، ولكنه يبقى موجوداً في الأزمة.

لا أتصور أن اسرائيل على استعداد لأن تعيد أراضي بأي نوع من أنواع التفاوض، لا التفاوض الثنائي ولا التفاوض في جنيف. اذن لا بد من ممارسة الضغط، والوسيلة الوحيدة هي الاحتمال العسكري الذي يجب أن يبقى قائماً، إما لمجرد وجوده أو لاستعماله إذا اقتضى الأمر.

في الوضع الحالي، الاحتمال العسكري الوحيد الموجود، أو الجبهة الوحيدة الساخنة والمليئة بالحركة هي الجبهة اللبنانية. والجبهة اللبنانية لا تستطيع أن تحارب وحدها بسبب ظروفها، وهو سبب جوهري.

الجبهة السورية لا تستطيع أن تتحرك حركة مؤثرة دون الجبهة المصرية.

إذن الجبهة المصرية هي المفتاح.

لا أتصور أن اسرائيل على استعداد لتقديم حل. تقدم الحل لماذا؟ لا مبرر. ثم، حالياً تمارس ضد المنطقة سياسة خلخلة الأمور، طبقاً لنظريات الدكتور هنري كيسينجر التي تستهدف تخلخل الأوضاع الموجودة.

وأضاف: ربما تصل الرئيس أنور السادات خلال أيام مقترحات اسرائيلية عن طريق أميركا. وهذه المقترحات مرهونة بالضغوط. ولكنها لن تكون كافية.

وعن الدور السوفياتي، والأميركي والسوفياتي ـ الأميركي الذي يمارس منذ حرب تشرين في المنطقة، قال هيكل:

■ من غير تحيز، أنا لا أرى أن السوفيات ارتكبوا أخطاء معنا. ربما جرحهم أنه بعد أكتوبر التي حاربنا فيها بأسلحة روسية، قبلنا بسرعة مشروع حل أميركي، أو دورا أميركيا مفضلا على غيره.

من الناحية المصرية قد يكون هناك ما يبرر ذلك، لأن أميركا هي الوحيدة القادرة على الضغط على اسرائيل. ولكنني أختلف مع هذا الرأي، لأن أميركا لا تستطيع أن تمارس أي ضغط بسبب ظروفها: اقتراب الانتخابات الرئاسية، فضيحة ووترغيت، وضع الرئيس جيرالد فورد ونظرة كيسينجر للصراع العربي ـ الاسرائيلي وللاتحاد السوفياتي.

ملخص موقف السوفيات:

اننا ساعدنا وأنتم حاربتم بأسلحتنا، ثم نظرتم باتجاه آخر.

وجدوا أنفسهم مستبعدين من جنيف . . . ثم قالوا: إذا كان تصوركم أن الأميركان سيقدمون شيئاً، فاننا ننسحب جانباً، ولكن ليس من كل المنطقة. وهم يقولون في الوقت الحالي: جربوا، ولعبتهم هي: «ننتظر لنرى».

اللعبة الأميركية، صورت للناس أن الأميركيين سيفعلون أشياء كثيرة، ولم يستطيعوا. أسباب ذلك أن لاسرائيل ارادة مستقلة. لأن الوضع الأميركي الداخلي ضعيف، واسرائيل تستطيع الضغط على أميركا أكثر مما تستطيع أميركا الضغط على اسرائيل، فاسرائيل تستطيع أن تحرك قوة كبيرة جداً في الولايات المتحدة. كما ان اسرائيل في وضع عسكري لا بأس به. ثم الوضع الاسرائيلي الداخلي ضعيف، واسحق رابين نفسه لا يملك قاعدة سياسية، وتستمر حكومته بأصوات معدودة جداً.

إن الأميركيين، بعد التصورات التي كانوا يعدون بها بدأوا يتراجعون. . . باتجاه تغيير النظام، باتجاه وجود رئيس أميركي «ما يعرفش راسو من اجريه» ومركز

كيسينجر يضعف وفشل الاتفاقية التجارية الأميركية ـ السوفياتية، التي كان يجب أن تتم، يجعل الوضع الأميركي يدخل أكثر في المشكلة.

أما اللعبة الأميركية ـ الروسية في ما يتعلق بالشرق الأوسط، فاعتقد أن الأميركيين والسوفيات فيها متفقون على أن لا يحصل في الشرق الأوسط انفجار، قد يجر أحدهما أو يجرهما معاً إلى حرب، لأن روسيا تملك امكانات التحريك العسكري، وأميركا تملك امكانات التحريك السياسي. إلا أن منطقة الشرق الأوسط تظل بالنسبة إلى كليهما منطقة مبارزة.

وحول السلام بالمفهوم الأميركي، والسلام بالمفهوم السوفياتي قال هيكل:

■ أميركا ترغب في فرض وضع معين في الشرق الأوسط، بينما يهم روسيا أن يقف الصراع السياسي بشكل أو بآخر كصراع مسلح، لتبدأ مرحلة التفاعلات الاجتماعية.

ولكن، ما دور العرب، وسط الالعاب الدولية في المنطقة:

أجاب هيكل:

■ أولاً لا بد من تنسيق مصري ـ سوري، تماماً كما كان في الساعة الواحدة ظهر السبت السادس من تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٧٣. وإذا لم يكن هذا التنسيق موجوداً أشعر بخوف.

لنلق نظرة على العالم العربي في وضعه الحالي، لا نجد أنه يعكس ارادة واحدة، ولا وجود لطرف يعكس ارادة مؤثرة، أو دولة عربية تملك ارادة غالبة.

ثم أن مصر لا تستطيع أن تحارب وحدها ولا سورية. ربما تستطيع احداهما القيام بمعركة دفاعية، لكنها لا تؤثر التأثير المطلوب.

ثم بالنسبة لأسعار النفط يبدو كأنك عاقبت من وقف إلى جانبك، وكافأت من وقف إلى جانب اسرائيل!

لغاية الآن، لا أشعر أننا طرف وأن لنا تأثير عربي فعال. وكي نعيد الوضع العسكري إلى المكان الصحيح علينا أن نحاول التفاهم مع روسيا.

وعن امكانية وقوع حرب جديدة، قال هيكل:

■ أجل ستقع حرب خامسة. لأن هدف اسرائيل الغاء القيمة المعنوية لاكتوبر. فانتصار أكتوبر يهدد نظرية الأمن الاسرائيلي. ورغبة اسرائيل في تفريغ مخزن السلاح السوري، وأيضاً كسب وقت أو الهاء العرب بمشكلة أخرى وبمضاعفات أخرى.

ثم أوضح هيكل: إن الخط السياسي الرسمي المصري لا يتصور اطلاقاً امكان استبعاد الاتحاد السوفياتي عن تحقيق أي حل نهائي.

وسئل هيكل: لقد تضمنت كتاباتك في «الأهرام» نظرية: لا نستطيع أن نحارب أميركا؟ فكيف تفسر ذلك؟ فأجاب:

■ قلت بعدم مناطحة أميركا مباشرة. ولكن هذا لا يعني أن لا امكانية هناك لمواجهتها جانبياً. المهم أن لا يكون هناك تطابق بين أميركا واسرائيل، وعندئذ تستطيع الضرب على منطقة عدم التطابق. ولا تستعمل في ذلك صدرك.

الموقف من أمريكا أصل خلافي مع السادات

كانت الشائعات قد انتشرت عن اعتقال محمد حسنين هيكل، وتناقلتها الألسن قبل وكالات الأنباء. فقررت القبس أن تستطلع الأمر، وذهب مندوبها الى بيت هيكل بغير موعد، يحمل إليه نسخة من العدد الذي نشر فيه النبأ، ويسأله عن هموم الحاضر والمستقبل العربي.

جريدة القبس الكويتية (١٩٧٦/٢/٢١) ـ السيد الشوربجي

قال هيكل: حسناً، لقد تأكدت الآن أن الخبر مدسوس ولا أساس له من الصحة.

وقلت له: نعم تأكدت.. لكنني لا أريد أن أكتفي بهذا.. هناك أسئلة كثيرة حول موقفك وأقاويل عديدة تتردد عنك وحكايات وروايات.. لماذا لا ننتهزها فرصة كي تضع النقاط فوق الحروف، ونوضح الحقيقة حول ما يقال ويشاع عنك في كل مكان.. ثم نسمع رأيك في كثير من أمورنا الحاضرة.

أجاب: حسناً.. سأتحدث معك في كل شيء.. عندما نتقابل سنقول كل شيء..

عندما حان موعد اللقاء الثاني، بادرني هيكل قائلاً: أرني أسئلتك أولاً قرأها، ثم شطب على واحد منها وهو يقول: هذا السؤال لن أجيب عليه.

كان سؤالي الذي شطبه هو:

«ما هو رأيك في عودة الأستاذين علي ومصطفى أمين لميدان العمل الصحفي في الخط الذي ينتهجانه الآن في صحف أخبار اليوم..»

ـ وسؤال آخر شطب عليه بقلمه الأسود... كان السؤال هو:

«قرأنا أن هناك من يتاجر بك ويبيع مقالاتك وكتاباتك في دول البترول، وإنك تتقاضى ستمائة دينار عن المقال الواحد.. ما هو ردك على هذا الكلام...».

قلت له: معذرة لهذا السؤال.. ولكني أريد وضع كل ما يقال أمامك.. فقد كتب ونشر أنك تقاضيت نصف مليون جنية استرليني عن كتابك الأخير «الطريق إلى حرب رمضان».

قال: لو افترضنا أن هذا صحيح، فما هو العيب وما هو الخطأ الذي ارتكبته... حسناً.. سوف أريك شيئاً...

وأخذني الأستاذ هيكل من يدي وقادني إلى أحد أرفف مكتبته حيث كانت هناك مجموعة من الكتب بأحجام مختلفة متراصة بنظام.. وبدأ يطلعني عليها واحداً واحداً... هذه هي بعض الطبعات التي صدرت عن كتابي المذكور.. هذه هي الطبعة الانكليزية... وهذه هي الطبعة الفرنسية.. النرويجية.. اليابانية.. الألمانية.. الهولندية.. السويدية.. التركية.. الايطالية.. الأميركية.. وهذه طبعة انكليزية شعبية، وتلك طبعة فرنسية شعبية.. حوالي سبع عشرة طبعة اطلعني عليها... وقال إن الكتاب ترجم إلى ٢٢ لغة عالمية، وطبع وصدر في كل هذه اللغات.. فلو فرضنا أن دار النشر التي اشترته مني دفعت لي نصف مليون جنيه استرليني عنه... هل يكون هذا كثيراً... ومع ذلك فالحقيقة بعيدة كثيراً عن هذا الرقم.. يا ريت...

وضحكت وسألته: ما هو الرقم بالضبط؟

سألني: كم تقدر أنت؟

قلت: لو كان نصف مليون فعلاً لكانت دار النشر هي الرابحة أيضاً..

قال الأستاذ هيكل:

ـ لنعد إذن لما هو أهم.. دعنا من هذا كله، ولنبدأ بالسؤال الأول:

وكان سؤالي الأول عن تفسيره لحكاية اعتقاله هذه.. وهل حدث شيء من هذا القبيل أم مجرد تهديد بالاعتقال، وما إذا كانت هناك أية قيود على حريته أو ما إذا كان ممنوعاً من السفر للخارج. وكان رده:

ـ «أظنها إشاعة.. والدليل أننا قاعدون الآن وهذه ليست المرة الأولى التي يقال فيها هذا الكلام، الذي لا أعرف دوافعه في التنقل والسفر فلا قيود على الاطلاق، وأنا لا أسافر إلا إذا كان هناك عمل أو مصلحة تدعوني للسفر.. رحلتي الأخيرة مثلاً بدأت في ١٣ سبتمبر الماضي بزيارة باريس... رحت لندن ١٨ سبتمبر، وفي ١٠ أكتوبر وصلت أميركا ورجعت إلى القاهرة يوم أول نوفمبر. يعني الرحلة كلها استغرقت شهراً ونصف الشهر. ومن أول نوفمبر وأنا موجود في مصر

وأزاول نشاطي العادي.. لا اعتقال ولا شيء على الاطلاق.. وكما قلت لك أنا لا أسافر إلا إذا كان فيه حاجة أسافر لها... وسفراتي كلها لمدد محدودة أعود بعدها لمصر التي اعتبرها مقامي الأول والأخير... وقد كتبت وأعلنت دائماً أنني غير مستعد أن أعيش خارج مصر وغير مستعد أشتغل خارج مصر، وأيضاً غير مستعد أموت خارج مصر إلا إذا جاء أمر الله رغماً عني، لكني أدعو الله ألا يكون موتي في أرض أخرى غير مصر... وأنا إذا كنت باكتب عن العالم العربي فأنا أكتب عنه كما أتصوره وأراه من القاهرة لا من خارج القاهرة...

عقود حتى ١٩٧٧

● **ماذا تعمل الآن وما هو برنامجك اليومي...**

■ أنا راجل منظم جداً بطبيعتي.. الساعة الثامنة صباحاً تجدني جالساً إلى مكتبي هذا حتى الساعة الثالثة بعد الظهر... خلال هذه الفترة لا أرتبط بمواعيد أو مقابلات عادة... مقابلاتي ومواعيدي واتصالاتي كلها بعد الظهر... أقوم بالاتصالات التي يباشرها أي صحفي عادة... أما في فترة الصباح فأنا باشتغل في كتبي.. زي ما الناس عارفة خلصت كتاب عن العالم العربي باقدم فيه «بانوراما سياسية» معاصرة للعالم العربي.. هذا الكتاب سيصدر في سبتمبر المقبل في وقت واحد، فعادة تصدر خمس طبعات بخمس لغات عالمية في الأول، ثم يترجم ويطبع بعد ذلك لباقي اللغات..

الكتاب اللي باشتغل فيه الآن عن الاتحاد السوفيتي في الشرق الأوسط من الحرب الباردة إلى عصر الوفاق... متعاقد عليه وميعاد تسليمه مارس ١٩٧٧ عشان يطلع في خريف ١٩٧٧.. من غير ذلك فأنا باكتب مقالات تنشر في العالم العربي مرة كل شهر.. هذا عملي وبرنامجي... وأنا مستريح جداً لهذا الوضع لأني بازاول عملي كصحفي وكاتب. وأنا قلت وكتبت قبل كده اني إذا ما قدرتش أكتب في مصر فسأكتب خارج مصر.. وهذا هو حافزي على كتابة مقالاتي الشهرية في العالم العربي.. ما يهمني هو أن أكتب وأقول رأيي...

● قرأنا أنك هاجمت اتفاقية سيناء الثانية وهاجمت الرئيس السادات أثناء وجودك في أميركا وقبل زيارة الرئيس الأخيرة لها... ما هي حقيقة ما حدث؟

■ كلمة هجوم لا أوافق عليها.. لازم نتعلم اننا ندير حوارنا ونناقش قضايانا من غير ما تبقى المسألة هجوم على حاجة أو على شخص... أما انني انتقدت اتفاقية سيناء الثانية فهذا صحيح لأنها من وجهة نظري لم تكن تحقق مصلحة مصرية ولا مصلحة عربية... وهذا رأيي... أما الهجوم على السادات فأمر خارج تماماً عن منطقي... فالسادات بالنسبة لي سيظل ـ وبصرف النظر عن أية خلافات ـ هو الرجل الذي اختاره جمال عبد الناصر خليفة له... وهو الرجل اللي اتخذ القرار في أكتوبر...

ليست لدي فكرة عما إذا كان هذا هو السبب أم لا. لكن الذي أعرفه أنني منذ تركت الأهرام، لم أقبل أي منصب آخر. وكنت ساعتها مختلفاً في الاتجاه السياسي. ولم يغضبني اطلاقاً أن يقال لي اترك الأهرام لكن أين أذهب بعد ذلك، هذا قراري أنا. أنا لا أعتبر أنني أحلت إلى المعاش، لأنني منذ خرجت من الأهرام، وأنا أعرف أني متمسك بصفتي الصحفية. وأعرف ماذا أفعله، والباقي يملكه أصحابه.

خلافي مع الرئيس السادات وسبب خروجي من «الأهرام» برضه ما عرفش.. لكن اللي اعرفه أني انتقلت لمنصب مستشار صحفي للرئيس فاعتذرت ولم أستلم عملي هذا على الاطلاق.. بعد ذلك عرض علي الرئيس السادات انني أتولى مناصب صحفية بشرط الالتزام، فاعتذرت لأن أي إنسان لا يستطيع أن يلتزم إلا بما هو مقتنع به.. ثم عرض علي منصب نائب رئيس الوزراء في ابريل الماضي.. أعني في وزارة ممدوح سالم الحالية فاعتذرت.. ثم عرض علي اني أتولى منصب مدير ديوان رئاسة الجمهورية فاعتذرت أيضاً.. اعتذرت عن هذا كله لأني متمسك بصفتي الصحفية، وبارفض تماماً أي منصب رسمي.. مرة واحدة اللي قبلت فيها منصب رسمي.. مرة واحدة اللي قبلت فيها منصب وزير الاعلام ودي كانت في ظروف الكل يعلمها وتمت دون رغبتي وارادتي وبضغط من الرئيس الراحل

عبد الناصر وكتبت عن هذا كله في حينه، ثم تنحيت عن المنصب الرسمي في أول مناسبة سنحت لي..

● أشرت إلى خلافك مع الرئيس السادات... هل لي أن أعرف بالضبط ما هي أبعاد هذا الخلاف والقضايا التي اختلفتما عليها..

■ خلافي أساساً كان يدور حول حجم الدور الأميركي في حل مشكلة الشرق الأوسط. فالرئيس السادات يرى أن كل مفاتيح اللعبة في يد الأميركيين، وأنا اختلفت معه في هذا... فرغم أني كنت وما زلت أرى اننا يجب أن نسعى لتحييد أميركا... لكن التحييد يفرض ولا يطلب... لما تطلب يبقى الكلام عن الحياد، والمسألة في هذه الحالة تكون في يد الطرف الآخر الذي تطلب حياده... لكن التحييد يختلف عن ذلك تماماً... التحييد فعل من جانبك وليس من جانب الطرف الآخر... تحييد أمريكا ليس معناه اطلاقاً أن كل مفاتيح الموقف في يد الأميركيين.. لكن معناه أن مفاتيح الموقف في يدنا نحن.. ونحن الذين نستطيع أن نفرض على أميركا.. وهذا معنى التحييد.. يبقى سؤال: كيف نستطيع ذلك..؟ والإجابة بسيطة.. في حرب اكتوبر ظهر تحالف بين عناصر متعددة كان قادراً على مواجهة تجربة الحرب.. ونفس هذا التحالف هو القادر على فرض السلام... وعناصر هذا التحالف كما ظهرت أثناء حرب اكتوبر تتكون من:

١ ـ نواة من مصر..
٢ ـ اطار كامل حول هذه النواة من الأمة العربية كلها..
٣ ـ امكانيات الأمة العربية كلها من نقطة الدم إلى نقطة البترول..
٤ ـ صداقات دولية أولها بالتحديد العالم الثالث ـ دول الثورة الوطنية ـ الاتحاد السوفيتي ـ أطراف دولية مهتمة بالشرق الأوسط بينها الولايات المتحدة ذاتها وأوروبا الغربية...

هذا هو التحالف اللي استطعنا نجرب الحرب في اطاره، وأهم عناصره طبعاً مصر والتضامن العربي حولها... إذا اختل هذا التحالف أنا باعتبر ليس فقط أننا أسأنا لفرص السلام بل نكون قد قللنا من قيمة تضحياتنا في الحرب...

● **استاذ هيكل... اسمح لي أن أقول.. أن إمكانية تجمع هذا التحالف بهذا الشكل وبتلك الصلابة وقت الحرب ممكنة... لكن بعد الحرب... الصورة تختلف... طبيعي أن يحدث تفكك لأن سخونة الموقف انتهت... فكيف لنا أن نضمن بناء هذا التحالف واستمراره لفرض السلام كما تقول.. لقد حدث شرخ حقيقي مثلاً في التضامن العربي، لكن كيف ومن هو المسؤول، وما الذي كان يجب أن يحدث؟...**

■ إذا انفرط هذا التحالف فأنا باعتبر أن فيه شيء غلط. لكن فين الغلط هذه ليست قضيتي الآن أو على الأقل. ولا هي مسؤوليتي وحدي أن أقولك فين الغلط.. دي مسؤوليتنا كلنا... من الرئيس السادات حتى أصغر عسكري في الخندق... من أول مصري حتى أي مواطن عربي في أي بلد عربي... أننا نبحث ونشوف ونعرف فين الغلط ونحاول نتلافى هذا، ونرجع التضامن والتحالف... لكن الذي ليس فيه شك فيه ـ في رأيي ـ ان الولايات المتحدة كانت تسعى جاهدة لفك هذا التحالف وده هو المخطط اللي اشتغل عليه كيسنجر طول الوقت...

● **كيف...**

■ سأقول لك... كيسنجر طول الوقت لم يكن يعمل لكي يحل مشكلة الشرق الأوسط أو النزاع العربي الاسرائيلي... دي قضية لم تكن تشغله.. الأرضية اللي كان يعمل لها كيسنجر طول الوقت أنه ليمنع احتمال أي صدام في الشرق الأوسط يمكن أن يؤدي إلى احتمال صدام بين الكتلتين الأعظم... يبقى الحل ايه؟.. لكي يمنع الحرب لازم يعمل حاجتين... لازم يخرج مصر من وسط القضايا العربية ولازم يخرج الاتحاد السوفيتي من الشرق الأوسط.

● **قرأنا أنك تنوي اصدار جريدة يومية في مصر، وانك قدمت طلباً للتصريح لك بإصدارها.. ما مدى صحة هذا الخبر، وما هو المنهج السياسي والفكري الذي ستعبر عنه هذه الجريدة إذا كان الخبر صحيحاً؟.**

■ الخبر الذي نشر غير صحيح.. فلم يحدث أنني طلبت التصريح لي بإصدار جريدة يومية... لكني أتمنى أن يحدث.. مش حاكون أول واحد يطلب... لكن إذا أقروا المبدأ فبالتأكيد سأقدم... مش عاوز أحرج أحد أبداً...

● **إذا أقروا المبدأ وقدر لك أن تصدر الجريدة.. فما هو منهجها السياسي والفكري؟..**

■ لا نريد أن نسبق الحوادث.. لما يقرروا أبقى أقولك...

● **ما رأيك في ما يثار اليوم في الساحة الداخلية حول المنابر والأحزاب... هل تؤيد قيام الأحزاب؟..**

■ أنا قبلت صيغة التحالف وتحمست لها من قبل ودافعت عنها... ولا أنوي أن أكون أول واحد يتخطى تصوراته السياسية التي دافع عنها من قبل... لكن صيغة التحالف مرهونة بوجود سلطة وطنية تقدمية تقود عملية التحول الاجتماعي باستمرار... إذا توقفت عملية التحول الاجتماعي فهذا معناه فك تأميم الصراع الطبقي اللي حصل... معناه أن التحالف يفقد أهميته وضرورته لأننا عملنا التحالف عشان نعمل التحول الاجتماعي في ظروف أكثر ملاءمة... بتأميم الصراع الطبقي لمصلحة ولحساب التحول الاجتماعي اللي احنا كلنا متفقين عليه... إذا توقفت عملية التحول الاجتماعي هذه يبقى ما فيش مبرر للتحالف ولا مبرر لتأميم الصراع الطبقي ويبقى لا مفر من أن كل مصلحة تعبر عن نفسها... وإذا تصورنا أن الحزب في النهاية هو الطليعة السياسية لطبقة من الطبقات يبقى لازم تقوم أحزاب... يعني أنا مع التحالف طالما أن الظروف اللي فرضته قائمة.. لكن إذا تغيرت الظروف فسأقبل العمل في ظل هذه الظروف المتغيرة، وأقبل صيغة الأحزاب... طبعاً...

● **قيل إنك كنت واحداً من المتصارعين على السلطة ورئاسة الجمهورية بعد وفاة الرئيس عبد الناصر.. ما هي حقيقة ما حدث في تلك الفترة، وموقفك من حكاية الصراع على السلطة هذه؟.**

■ لم أتصارع في حياتي على سلطة ولا على منصب.. لو كان ذلك في ذهني كنت من أول ما عرض علي جمال عبد الناصر وزارة الارشاد في يونيو ١٩٥٦ كنت قبلت... على الأقل كنت اكتسبت اقدمية وبقيت أقدم واحد في الوزارة... وبعدين سلطة ايه اللي حا تصارع عليها.. أنا طول الوقت أقول لك اني مش بتاع

سلطة ولا عاوز أي منصب رسمي وبارفض وأعتذر عن كل منصب يعرض علي. . يبقى ازاي حا تصارع على السلطة. . .

رئاسة الجمهورية بعد وفاة عبد الناصر، الرئيس السادات نفسه يشهد اني أنا اللي اقترحت أن تكون هناك قاعدة من الدستور تتبع بعد عبد الناصر والا المسألة تبقى فوضى. . وقلت بما أن الرئيس السادات هو نائب رئيس الجمهورية فحسب الدستور يكون هو اللي يحل محل عبد الناصر. . وكلامي هذا مسجل وثابت في محاضر اجتماعات مجلس الوزراء بعد وفاة الرئيس. . . يبقى كيف اتصارع على السلطة. . . وطبقاً لأي قاعدة أو على أي أساس سأطمع في رئاسة الجمهورية زي ما قيل وما كتب. . . أنا كنت رئيس تحرير «الأهرام» وقتها وكنت وزير إعلام. . . يبقى كيف اتصارع على منصب الرئاسة. . .

● **لنعد إلى الوراء قليلاً ونفتح ملف الرئيس الراحل عبد الناصر. . . في البداية أريد أن أسألك عما كتبته من قبل من أنك تنوي كتابة تاريخ عبد الناصر باعتبارك من أقرب الناس إليه وأكثرهم معرفة بكل أسراره. . هل بدأت في تنفيذ هذه الفكرة. . .**

■ بعد رحيل عبد الناصر كتبت هذا فعلاً، وكنت مقدراً لنفسي خمس سنوات أبدأ بعدها الكتابةلكي أقدر أكتب كتابة متجردة من غير ما تكون متأثرة بعاطفة أو صداقة، وكنت باعتقد أن كتابتي لازم تكون شهادة للتاريخ. . . شهادة مبرأة حتى من مشاعري نحوه. . . لكن لما أثيرت الحملة على عبد الناصر أجلت كتابتي لأني تصورت اني إذا كنت حاكتب حاجة تعمل تقييم موضوعي لتجربته كلها فيبقى لازم يكون فيها السلبي والإيجابي. . مع العلم أن الايجابي في تجربة عبد الناصر أكثر مئات المرات مما هو سلبي فيها. . لكني تصورت أن الظروف السائدة الآن مع تصاعد الحملة عليه حاتخلي بعض الناس، يعني اللي بيشتغلوا في هذه الحملة، حايستغلوا كلامي خصوصاً عن السلبيات ويقول هذه شهادة أقرب الناس إلى عبد الناصر. . سيهملون الكثير الإيجابي ويركزون على القليل السلبي، وبالتالي يستغلوا أي حاجة أكتبها عن جمال عبد الناصر بما يناسب أغراضهم. . لهذا قررت

أنتظر لما الكل يخلص ما عنده.. لما يبقى فيه مناخ ملائم للتقييم الموضوعي المتجرد للتجربة.. لأني لا أريد الكتابة لا في مجال الدفاع عن عبد الناصر ولا في مجال نقده.

● **هل تعتقد أن عبد الناصر كان يعلم وكان مسؤولاً ولو بالصمت والرضا عن عمليات التعذيب الرهيبة التي كانت تتم ضد المعتقلين السياسيين في عهده.. وإذا كان ما يقال وما ينشر صحيحاً.. فماذا كان موقفك ورأيك الشخصي..**

■ أعتقد أن هذا الكلام فيه مبالغات كثيرة جداً وعلى أي حال باتمنى - وأنا طالبت بهذا كتابة - يتعمل تحقيق نزيه ويرصد الوقائع واقعة واقعة ويقولوا لنا عشان نعرف ونحكم.. لكن الضجة اللي حاصلة دلوقتي، وكل واحد ينتهزها فرصة عشان يقول ويحكي ويبالغ ويعمل من نفسه بطل من غير أساس، هذا كلام غير صح.. يتعمل تحقيق بواسطة لجنة محايدة.. لجنة برلمانية.. لجنة تاريخية وتحقق الوقائع وتعلنها على الناس بعد الاستقصاء والبحث العلمي النزيه..

وفيما يتعلق بموقفي أظن موقفي واضح قدام الناس.. واقعة تعذيب الدكتور عبد المنعم الشرقاوي.. الأستاذ الشرقاوي جاءني وعبد الناصر موجود وكتبت عما حدث له واستنكرته بشدة وقلبنا الدنيا في ذلك الوقت.. قلت وكتبت في حياة عبد الناصر مش بعد وفاته وغيابه.. أيضاً كتبت سلسلة من المقالات بعنوان «زوار الفجر» وهو التعبير اللي نقلوه عني وأصبح شائعاً بعد ذلك للدلالة على المخابرات.. كانت هناك بعض التجاوزات في المخابرات وانتقدت هذا الوضع في حياة عبد الناصر.. ليس هذا فقط.. أنا سمحت بنشر كل روايات توفيق الحكيم ونجيب محفوظ التي كانت بتنتقد المخابرات والاتحاد الاشتراكي والسلبيات اللي ظهرت في حياة عبد الناصر.. نشرت للحكيم «بنك القلق» في نقد المخابرات ونشرت لمحفوظ «ثرثرة فوق النيل» و«السمان والخريف» و«اللص والكلاب».. كل ده في حياة عبد الناصر.. لم أنتظر حتى يموت لكي أتكلم.. ومش عارف الناس اللي بيكتبوا دلوقتي ونازلين قوالة كانوا فين وقتها.. أنا عاوز لجنة تحقق لنا موضوع

المعتقلات والتعذيب.. وعيب أنهم يوصل بينهم الأمر لدرجة اتهام عبد الناصر بأنه سمم الدكتور المفتي وقتل عبد الحكيم عامر.. ده عيب وما يصحش يتقال وأسلوب حقد وتهريج.. كما بيتقال النهار ده أن عبد الناصر سرق ١٥ مليون وهرب ما عرفش ايه.. كلام غريب جداً.. مع أن عبد الناصر مات مديون بستة وعشرين ألف جنيه باقي تكاليف انشاء البيتين اللي عملهم لبناته.. وبعد وفاته الدولة هي اللي سددت ديونه دي تكريماً له ووفاء لذكراه..

● **أخيراً يا أستاذ هيكل.. ومعذرة إذا كنت قد أثقلت عليك وأخذت من وقتك الكثير..**

■ لا يهمك..

● **شهادة التاريخ أطلبها منك.. نكسة يونيو ٦٧.. ما هو مدى مسؤولية الرئيس عبد الناصر عن هزيمة يونيو ٦٧ ومسؤولية الآخرين؟..**

■ أنا لي كتاب حيصدر في بيروت اليومين دول اسمه «الشرق الأوسط١٩٦٧» ودي الطبعة العربية لأن الأصل نشر بالانكليزية في جريدة «الصنداي تلغراف» في أكتوبر ١٩٧٣ وما حدش انتبه له لأن وقتها كانت حرب اكتوبر مشتعلة وكانت كل الأذهان مشدودة لها.. في هذا الكتاب أنا أوضحت كل الحقائق المتعلقة بنكسة يونيو ١٩٦٧.. رأيي بخلاصة أن هزيمة ٦٧ لا يمكن أن ينظر لها فعلاً على ضوء المعركة العسكرية الخاسرة اللي خضناها.. لأنها كانت جزء من حركة الصراع بين القومية العربية والاستعمار.. لكن ما فيش شك أن حجم الهزيمة كان مزعجاً.. ما كانش طبيعي وما يرجعش بالضرورة لحركة الصراع اللي بنقول عنها.. لكن بيرجع لمسؤولية وأخطاء القيادة ولاعتبارات وتراكمات كثيرة.. إذا أردت تحديداً أكثر فقد كان حجم الهزيمة راجعاً لعاملين أساسيين وقت المعركة.. ضربة الطيران.. وقرار الانسحاب..

● **ده اللي أنا عاوز أعرفه بالضبط.. مين اللي أصدر قرار الانسحاب..؟**

■ مش عبد الناصر طبعاً.. المشير عبد الحكيم عامر هو اللي أصدر قرار الانسحاب.. لكن اللي يهمني بعد كل اللي حصل أن عبد الناصر رغم الهزيمة

وحجمها البشع لم يسلم ارادته السياسية، بل عاش بعد ذلك وليس له هدف سوى إزالة أثار العدوان.. بناء الجيش وإعادة التسليح والاستعداد للحرب.. كل ده كان معناه ايه.. انه ما سلمش ارادته السياسية وأنه عاش أيامه كلها بعد كدة لهدف واحد هو تصحيح ما حدث وإرجاع ما ضاع.. لكن القدر لم يمهله ومات قبل أن يحقق أمله وحلمه الكبير في أن يرد للعرب اعتبارهم وما فيش شك أن الرئيس السادات استفاد من كل ده وعمل معركته الكبيرة بعد ذلك.

● **استاذ هيكل.. أعتقد أن هذا يكفي، فقد أخذت من وقتك الكثير..**

■ أشكرك...

مؤتمر جنيف مجرد وسيلة لكسب الوقت

في بيته المطل على النيل كان الحوار مع محمد حسنين هيكل حول عدد من النقاط المحددة، التي ترتبط بقضية التسوية الشاملة لأزمة الشرق الأوسط بصفة عامة، وبمؤتمر جنيف واحتمالاته المختلفة بصورة خاصة.

● القبس - ٢٦/ ٩/ ٧٧ - يحيى حمزة.

● **سبق لك أن قلت أن مؤتمر جنيف قد أصبح هدفاً في حد ذاته يسعى إليه العرب.. فما هي احتمالات انعقاده في رأيك على ضوء الزيارات والجولات والاتصالات التي حفلت بها المنطقة؟ ومتى يعقد في رأيك... إذا انعقد؟**

وأجاب هيكل وهو ينفث دخان سيجارته:

■ بالنسبة لاحتمالات انعقاد مؤتمر جنيف فأنا واحد من الناس الذين لم يكونوا مقتنعين بأن هناك جنيف.. على أقل تقدير في الشهور التسعة الأولى التي انقضت من عام ١٩٧٧. ولم يكن ذلك موقفاً جديداً فقد توقعته وكتبته في العام الماضي. وكان رأيي أن الآمال العربية كلها معلقة على أميركا وعلى الحل الأميركي. وسنة ١٩٧٦ كانت سنة انتخابات في أميركا وبالتالي فإن الموقف كان متجمداً تماماً بالنسبة لقضية الشرق الأوسط. التركيز كله على أميركا وأميركا مشغولة بالانتخابات.. وبالتالي فإن الطريق الذي يسلكه العرب للتسوية السلمية لم يكن جاهزاً بعد. ربما لو كان هناك طريق آخر أو مساع أخرى عن غير طريق الحل الأميركي لقلنا أن هناك احتمالات لتحريك القضية أما الوضع كما سبق أن شرحته فإن الموقف ظل متجمداً.

ثم جاء عام ١٩٧٧.. ولو افترضنا جدلاً أن الطرف الأميركي مستعد لممارسة الضغط على الطرف الإسرائيلي، فإن الطرف الإسرائيلي لم يكن مستعداً بسبب ظروف الانتخابات الإسرائيلية..

واستطرد هيكل قائلاً:

ـ في أواخر ٧٦ وأوائل ٧٧ بدا أن هناك تحولاً في الموقف العربي واهتماماً إلى حد ما بالشكل السياسي أكثر من المضمون السياسي، حتى أصبح مؤتمرجنيف هدفاً في حد ذاته أكثر منه وسيلة عملية لتحقيق التسوية السلمية الشاملة.

وبعد ذلك وبتأثير من هذا الموقف العربي مضافاً إليه تأثير دول العالم الثالث صدر قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة بضرورة انعقاد مؤتمر جنيف قبل نهاية شهر مارس ١٩٧٧ وذلك بناء على طلب الجانب العربي (ومع ذلك لم ينعقد المؤتمر في هذا الموعد!)

ورغم أنني ما زلت أؤكد أن قضية الشرق الأوسط تحتل المكانة السادسة أو الخامسة ضمن اهتمامات الرئيس الأميركي جيمي كارتر، وأن أميركا لا ترى أن هذه المشكلة عاجلة بالدرجة الساخنة التي تستلزم إعطاءها اهتماماً بارزاً، إلا أن أميركا رغبة منها في الاحتفاظ بموقف طيب مع العرب لا تخسر معه شيئاً في علاقاتها الدولية الأخرى لم تجد مانعاً في أن تؤكد هي الأخرى عقد مؤتمر جنيف... إن أميركا ليس لديها شيء حقيقي تعطيه حالياً لقضية الشرق الأوسط فما الذي يمنعها من إعطاء «الشكل السياسي» الذي يطالب به العرب وهو جنيف.. على الأقل فإن ذلك سيحقق لها حسن النية عند العرب ويجعلها تظهر بشكل المستجيب لرغبتهم.. دون أن تخسر شيئاً!

لقد كان العرب هم الذين حركوا الجمعية العامة للأمم المتحدة لتصدر قرارها بعقد مؤتمر جنيف قبل نهاية مارس. وكان العرب أيضاً هم الذين دعوا سكرتير عام الأمم المتحدة الدكتور فالدهايم للقيام بجولته.. ولكن إلى ماذا انتهى كل ذلك؟ لقد صرح فالدهايم في نهاية جولته بأن المؤتمر لا يمكن عقده في الوقت المقرر، وأن هناك عقبات عديدة تحول دون ذلك.

الرسول الثاني إلى الشرق الأوسط كان وزير الخارجية الأميركية سايروس فانس... ماذا يريد...؟ الاستماع إلى وجهات نظر أطراف النزاع في أزمة الشرق الأوسط، ثم توجيه دعوات إلى الرؤساء والملوك العرب لزيارة واشنطن..؟ وبدأت

بعد ذلك «مواكب» من المسؤولين في المنطقة تتجه إلى واشنطن. . لكن ماذا حقق ذلك كله. . . لا أكثر من أن أميركا أو بمعنى أدق النظام الجديد في أميركا يستطلع وجهات النظر المختلفة. . . مجرد ملء للوقت أو تضييع له بمعنى أو بآخر.

ألا يعطي ذلك كله انطباعاً بأن مؤتمر جنيف والحديث المبالغ فيه عنه هو مجرد وسيلة لقطع الوقت. . لا أكثر. إنني أشبه هذا الوضع بمن يجلس في الظلام فلا يجد ما يقطع به وقته ويسلي به نفسه بموضوع ما. . يتحدث عنه ويبني عليه كل حديثه واجتماعاته واتصالاته رغم علمه بأنه لن يوصل إلى شيء. . لكنه في نظره أفضل من الجلوس وحيداً في الظلام والفراغ والصمت. فالصمت مزعج. . والحديث حول أي موضوع حتى ولو كان وهماً هو قطع لهذا الصمت المزعج!

● **وهل المسؤولين العرب يعلمون تماماً أن جنيف مجرد وسيلة لقطع الوقت، وهم يستغلونها ـ في رأيك ـ على هذا الأساس، أم أنهم يجهلون ذلك؟**

■ كلا الأمرين وارد، وكلاهما ليس شهادة في حق الأطراف العربية. . إن كنت تدري فتلك مصيبة وإن كنت لا تدري فالمصيبة أعظم. وقد تعلمنا من التاريخ العربي أن العقلية العربية تعتمد دائماً على الكثير من المبررات والأعذار التي تبدو واضحة في عباراتنا المأثورة. . . لعل له عذراً وأنت تلوم. . . ومن قال لا أدري فقد أفتى. . إلى غيرها من نواحي القصور في التفكير إلى حد السذاجة أحياناً.

● **في رأيك إذن أن مؤتمر جنيف سيعقد أم لا؟**

■ قد ينعقد جنيف كمجرد وسيلة لقطع الوقت كما قلت، طالما أن الأطراف العربية مصرة عليه لمجرد الشكل السياسي. لكن هناك عقبات عديدة أمام انعقاد مؤتمر جنيف.

● **وما هي أبرز هذه العقبات؟**

■ هناك عقبات حقيقية إلى جانب عقبات شكلية أمام انعقاد مؤتمر جنيف في وقت قريب.

العقبات الحقيقية أبرزها عقبة تمثيل الفلسطينيين في المؤتمر. فالدول العربية المتحمسة لجنيف لم تستطع أن تجعل الرأي العام العربي يبتلع سوى طبقة من السكر حاولت أن تجمل بها «كعكة» جنيف وهي حضور الفلسطينيين له. وهذه الطبقة من السكر ليست متاحة بهذه البساطة والسرعة. وتحلية كعكة جنيف بهذه الطبقة من السكر ليست موجهة فقط إلى الرأي العام العربي لإقناعه بجنيف، بل هي موجهة أيضاً للفلسطينيين.

ويصمت الأستاذ هيكل قليلاً لم يستطرد قائلاً:

ـ ونسأل أنفسنا بعد ذلك.. هذه بعض العقبات والأهوال. إلى مؤتمر جنيف.. وهي ليست سهلة.. والطريق الصعب وفضلاً عن ذلك وأهم من ذلك أنه نفق طويل ليس فيه مجرد ضوء في نهايته.

فحتى إذا انعقد جنيف.. ما الذي سيحققه؟ لا شيء! وماذا بعده.. سيقدم السكرتير العام للأمم المتحدة تقريراً للجمعية العامة وتجتمع الجمعية وتصدر قراراً قوياً في صالح العرب، ويجتمع مجلس الأمن ويعقد جلسة وجلستين وينتهي الأمر، ونعود من حيث أتينا ويصبح «جنيف» ـ كما سبق أن قلت ـ مجرد وسيلة لقطع الوقت!

● **إذن ما هو الحل؟ أليست هناك من وسيلة لتحقيق الحل السلمي؟**

■ إن وجود القوة العسكرية في لغة العصر الحديث قد يكون البديل لعدم استخدامها. لقد قابلت منذ فترة أحد كبار العسكريين العرب وسألني نفس السؤال.. وكان جوابي عليه أنه هو الذي يملك الرد أكثر مني.. وقلت له:

ـ هل تريد أن تعرف متى يمكن لجنيف أو لغير جنيف أن يحقق الحل السلمي.. إن ذلك مرهون بما إذا كنت قادراً الآن على استخدام الحل العسكري في صراعك مع إسرائيل.. فهل تستطيع ذلك؟

وأضاف هيكل قائلاً:

ـ وسكت محدثي العسكري الكبير ولم يجب.. واستطردت قائلاً له:

- إن مائدة المفاوضات السلمية هي صورة لحقيقة الأوضاع خارجها. ولو كانت لديك القوة العسكرية على فرض الحل العسكري فإنك ستفرض الحل السلمي على خصمك وعدوك دون أن تلجأ إلى استخدام هذه القوة العسكرية، لأنه يعلم أنها البديل لفشل محاولات الحل السلمي.

وسألت الأستاذ هيكل:

● **لقد سبق لك أن كتبت عن «الطابع الرسولي» لسياسة الرئيس الأميركي جيمي كارتر.. فما هي انعكاسات وتطبيقات هذا الطابع على السياسة الأميركية تجاه الشرق الأوسط؟**

■ أولاً ينبغي أن تدرك أن السياسة الأميركية تحكمها استراتيجية وطريقة ممارسة. والاستراتيجية الأميركية تحكمها عوامل تاريخية حقيقية ثابتة ومصالح عليا لا يملك كارتر الخروج عنها. وكل مجال الاختلاف هو في الأسلوب الذي تعالج به هذه الاستراتيجية.

وكما يقولون أن كل قصة في النهاية هي رجل وامرأة سواء كتبها شكسبير أو كتبها أي هاو صغير. فكذلك استراتيجية السياسة الأميركية سواء تصدى لها نيكسون أو كارتر، والمصالح الأميركية لا تتغير بسهولة، وكل ما هنالك هو أن اختلاف الأسلوب يعطي أولويات معينة لبعض الموضوعات أو يسلط الأضواء عليها في طريقة المعالجة، دون اختلاف جذري في مقومات السياسة الأميركية.

وبقي سؤال أخير في ختام الحديث مع الأستاذ محمد حسنين هيكل حول جنيف والتسوية السلمية لقضية الشرق الأوسط.. سؤال صريح:

● **هل تعتقد أن منظمة التحرير الفلسطينية راغبة فعلاً في الوصول إلى تسوية للقضية أم لا؟**

وأجاب هيكل قائلاً في تأكيد:

■ الطرف الفلسطيني راغب فعلاً في الحصول على تسوية عادلة للقضية.. لكن ليس أي تسوية وليس بأي ثمن.. وهاتان نقطتان أساسيتان وسلبيتان إلى حد كبير وبعيد.

الوحدة بين مصر وليبيا أكبر من السادات والقذافي

يأتي حديث محمد حسنين هيكل في وقته تماماً، بعدما كثرت الأسئلة عن الدور الذي يلعبه أو الذي يمكن أن يلعبه في هذه الفترة بالذات، وبالتالي عن علاقته بالسياسة المصرية الحالية وعن رأيه فيها، وهو الأقرب والأبعد في الوقت نفسه.

والصحافي الكبير، برغم العزلة الظاهرية التي أحيط وأحاط نفسه بها، بعد جولته الأخيرة في العالم العربي، والتي جعلته موضع تكهنات وحكايات لا علاقة لها بالواقع، ظل مفتوحاً على الجميع، ويندر أن يزور مصر سياسي عربي أو أجنبي لا يزوره. ربما لأن الصحافة التي بدمه تأبى إلا أن تجعله باستمرار في قلب الأحداث. وهذا الدور لا يزال هو متمسكاً به ومصراً عليه أكثر من أي شيء آخر. من هنا، ربما، رفضه لرتبة نائب رئيس الوزارة الحالية.

وهو يعترف بأنه يقف في صف المعارضة، لكنها المعارضة التي يقول أنها «توسع دائرة الاختيار أمام الرئيس السادات»، وليست ضد سياسته التي «تخطىء وتصيب».

وإذا كان ثمة اختلاف. فهو اختلاف أولا حول دور أميركا. حيث أن الاحتكام لها كلياً يحول مشاكل الشرق الأوسط من أزمات إلى مآس. وثانياً حول «الديمقراطية» و «الليبرالية» و «الناصرية» وسياسة الانفتاح الحالية «التي ليست سوى عمليات استهلاكية وربحاً سريعاً تدفع ثمنها التنمية المصرية».

كما يدافع هيكل بحرارة عن جمال عبد الناصر ضد ضراوة الحملة عليه، والكبيرة «بحجم المصالح الموجودة على الأرض العربية»، وعن عهده «المعادي للديمقراطية» الذي ظلت فيه صحافة لبنان حرة.

وفي هذا الحديث يعلق هيكل بشمول وباختصار، على أبرز الأحداث العربية والعالمية، لا سيما ما يتعلق منها بمؤتمر جنيف الذي يأتي في المرتبة السادسة من اهتمامات الادارة الأميركية الجديدة.

● مجلة الوطن العربي ـ ٢/٣/١٩٧٧ ـ هدى الحسيني

● **ما محور العلاقة بينك وبين الرئيس السادات؟ والسبب الذي يتركك تكتب معارضاً سياسته؟ وما هو تقييمك لهذه السياسة ايجابياً وسلبياً؟**

■ كما أتصور، العلاقة بين الرئيس السادات وبيني، هي العلاقة بين صحافي مهتم وملتزم وبين رئيس دولة.

الصحافي في ظروف العالم الثالث، وبالذات في ظروف بلد كمصر، حيث نواجه قضايا مصيرية، لا يستطيع أن يكون فقط مجرد مسجل لما يجري. انما يكون التزامه أكبر وأوسع، ويكون اهتمامه بما يجري أكثر من اهتمام زملائنا في أوروبا وأميركا، لأننا هنا لا نتكلم فقط في تفاصيل الأشياء، انما نتكلم في اساسيات الأشياء، وهذا هو شاغلنا في هذه المرحلة من التطور.

هذا يجرني إلى الجزء الثاني من سؤالك، «انني أكتب معارضاً سياسة السادات»، أنا لست معارضاً. مرة أتاني بعض الناس، قالوا لي: انك ترتب نفسك كي تبقى زعيم معارضة أو تتصرف كأنك معارض.. وهذا غير صحيح. أنا لست زعيم معارضة ولا معارضاً. لماذا؟ هناك ثلاثة شروط للمعارضة. وكلاسيكياً، هذه الشروط معروفة: كي تعارض يجب أن تتوفر لديك ثلاثة أمور. أولاً: أن يكون عندك تنظيم. ثانياً: أن يكون عندك سياسة بديلة تطرحينها. وثالثاً: أن يكون هدفك الوصول إلى السلطة. وهكذا، بمساعدة تنظيمك تفرضين سياستك أو تنفذنيها. أنا رجل لا تنظيم عندي، ولا سياسة بديلة كاملة. عندي تصورات، وليس هدفي الوصول إلى الحكم. أنا متمسك تماماً بدوري كصحافي، واعتذرت عن كل العروض التي عرضت عليَّ كي أعمل في السياسة التنفيذية أو في الحكم. اعتذرت عنها وأنا شاكر لكل الناس الذين قدموها وكنت عند حسن ظنهم. آخر هذه

العروض منصب نائب رئيس الوزراء في وزارة السيد ممدوح سالم الحالية. وكما قلت لك، هذا ليس هدفي.

ثم أنا لا أعارض سياسة الرئيس السادات، تقولين: لكنك تكتب أشياء مختلفة. صحيح، لكن هدفي أن أوسع دائرة الاختيار أمامه. لا يعني هذا انني أقول رأياً معارضاً له، أنني أقول رأياً آخر. وليس في كل قضية. الهدف في الدرجة الأولى أن أوسع دائرة الاختيار أمام صانع القرار المصري أو صانع القرار العربي.

وما هو تقييمي لسياسة السادات إيجابياً وسلبياً؟ أنا أعتقد ان أنور السادات، مثله مثل أي سياسي في أية مرحلة من التاريخ، في سياسته أشياء «صح» وأشياء «غلط». هناك أمور ايجابية وهناك أمور سلبية كما في كل تجربة، وهو نفسه لا يستطيع أن يقول شيئاً آخر.

● **ما هي تصوراتك السياسية؟**

■ اختلافنا كان بسبب ثلاثة أشياء، وهذا يعني اختلافاً كثيراً. اختلفت في قصة «أميركا فقط» وأنا واحد من الذين تعرضوا للمشاكل في العالم العربي لأنني قلت: «أميركا أيضاً»! استثناء أميركا غلط، والاعتماد على أميركا غلط أيضاً. اذن حكاية أميركا فقط. أنا أقول إنها غلط، وبدون أميركا اطلاقاً أقول إنها أيضاً غلط. لكننا سرنا في سياسة أميركا فقط، وهذا لست موافقاً عليه أو على الأقل لا أعتقد ان هذا هو الصح، وقلت رأيي في هذا.

ثانياً: المسألة العربية. أنا أعتقد بأن مصر لا تستطيع أن تمشي وحدها. سياسة مصر وحدها أو مصر أولاً، أنا لا أؤمن بها، انما مصر مع بقية الدول العربية في الوقت نفسه وفي اللحظة نفسها. وأنا واحد من المقتنعين بالفكرة القومية، ولا أحد اطلاقاً سيجعلني أقتنع بفكرة مصر الصغيرة المحتاجة. ليس هذا هو الصحيح. مصر وحدها، هي فعلاً مصر المحتاجة. المعزولة الضعيفة، لكن مصر في وسط الأمة العربية هي فعلاً الطليعة والقوة الخ..

الاختلاف الثالث: القضية الاجتماعية في مصر. أنا لا أعتقد أن مشكلة مصر يمكن أن تحل بما يسمى الانفتاح، وبالطريقة التي يمارس فيها هذا الانفتاح. هذه

هي القضايا التي لي فيها آراء مختلفة وليست بالضرورة معارضة، وهدفي من آرائي المختلفة كما قلت انما توسيع دائرة الاختيار أمام صانع القرار المصري وأمام الرأي العام المصري والعربي.

● **ما وراء الديمقراطية في مصر حالياً؟**

■ لا أعرف إذا كان ما يحصل في مصر هذه الأيام من الممكن أن يسمى ديمقراطية. أستطيع أن أسميه تجاوزاً، انه محاولات في سبيل تصورات الديمقراطية.

حصلت محاولات في فترة سابقة، في وقت الرئيس عبد الناصر، تعطي الأولوية للديمقراطية الاجتماعية، باعتبار انه ليس هناك ديمقراطية سياسية الا مترتبة على ديمقراطية اجتماعية، وأنا من المقتنعين بأن الأساس الاجتماعي هو الأساس الأول للديمقراطية، رغم انني انتقدت التجربة السابقة، لأنني كنت أعتقد ان السعي نحو ديمقراطية اجتماعية واعطاء الأولوية اللازمة للديمقراطية الاجتماعية لا يتنافى مع حق التعبير أو مع تعبير القوى. لكن من هم الذين عبروا؟ اعتقادي كان ولا يزال بأن التعبير ليس تصورات واجتهادات، التعبير هو مصالح الناس، مصالح قوى الشعب العاملة. وكنت ادعو باستمرار لكي تبني قوى التحالف للاتحاد الاشتراكي مجتمعها المفتوح وليس الانفتاح. كل خلافاتي مع الذين يطلقون عليهم مراكز القوى آتية من هذه النظرة.

حالياً هناك نظرة أخرى تتكلم عن نوع من الديمقراطية الليبرالية. ببساطة أنا غير مقتنع، وغير مقتنع حتى بوجود الأسباب أو حتى المقاييس الليبرالية. هناك مقاييس ليبرالية معينة، مثلاً درجة النمو الاجتماعي لمجتمع معين تحدد بشكل أو بآخر ممارسات الديمقراطية. لذلك أنا لست مقتنعاً أن الليبرالية كما نتكلم عنها، أو كما نمسخها، هي الحل لقضية الديمقراطية في مصر. على أي حال إنها محاولة في سبيل اكتشاف تصورات الديمقراطية، وأنا لا مانع عندي من أن تأخذ مداها، إذا نجحت «كويس». لكنني لست معتقداً إن هذا هو الحل لمصر.

● **لبنان القضية الأساسية الآن في الشرق الأوسط بالاضافة إلى القضية الفلسطينية. أما من حل..؟.**

■ ليس من الداعي أن أتكلم عن التناقضات الأساسية في لبنان والتي أدت تفاعلاتها إلى ما وصلنا إليه، وبصرف النظر عن آرائنا كلنا واجتهاداتنا كلنا، فإن قضية الفلسطينيين، وليس قضية فلسطين، تشابكت مع قضية لبنان، تشابكت لأن لبنان بقي المحطة الأخيرة الموجودة على خط المواجهة، يستطيع الفلسطينيون أن يتوقفوا فيه ويعملوا عملاً مستقلاً. وبالتالي، وجودهم في لبنان حالياً، في اعتقادي، مرتبط بمشكلة حل قضية الفلسطينيين، بمعنى انه ممكن أن أتصور ان هناك حلاً لأزمة الشرق الأوسط، كما تصور بعض الناس إن هناك حلاً لقضية فلسطين حتى بالتصفية، لكن هذا لا يحل قضية الفلسطينيين... تبقى هناك مشكلة لا-تزال موجودة في لبنان وسندخل من خلالها في مشاكل لا حدود لها.

شئنا أو لم نشأ، لبنان ارتبط بهذا الوضع. لكن المهم كيف يمكن أن نتعاون جميعاً لنجعل من هذا الوضع وضعاً محتملاً. أنا لا أتصور حلاً نهائياً. ثم ان جمع الأسلحة والتعهدات المتبادلة ووجود قوات الردع، كلها في رأيي محاولات، نجاحها مرتهن بأن تجعل وجود الفلسطينيين في لبنان وعملهم وعمل الثورة الفلسطينية السياسي وإلى حد ما العسكري من لبنان، تجعله محتملاً بالنسبة إلى الشعب اللبناني. والحقيقة ان المسألة غير عادلة اطلاقاً، كما يرى الجميع، ان يتحمل لبنان وحده، وهو أضعف جبهة في خط المواجهة العربية، يتحمل وحده ولعدة سنوات المشاكل الناجمة عن تحوله إلى النقطة الوحيدة الساخنة على خط الجبهات بينما كل الجبهات هدأت.

الشعب اللبناني حمل أكثر مما يحتمل، والحقيقة ان الثورة الفلسطينية وضعت في اختبار، وهي غير قادرة على ادارته، أي انها لا تستطيع أن تدير الصراع.

تناقض الثورة الفلسطينية الأساسي موجود مع اسرائيل، وصراعها مع اسرائيل قد لا تديره بنجاح، لأن الواحد يستطيع أن يدير صراعاً حيث التكوين والأهداف مهيأة للتوجه إليه، لكنه لا يستطيع أن يدير غيره بالصراعات.

الفلسطينيون ظلموا بمقدار ما ظلم اللبناني في ما حصل في لبنان، وإذا كان لا

بد من عمل شيء حالياً فعلينا أن نعرف إنه لا حل اطلاقاً في خروج الفلسطينيين من لبنان. هذا غير ممكن وصعب جداً ومستحيل، والمسألة ـ الحل، هي كيف نجعل من الوجود الفلسطيني في لبنان أمراً محتملاً بالنسبة إلى الشعب اللبناني، أمراً معقولاً، تكاليفه معقولة وليست فوق حد الاحتمال كما حصل فعلاً.

أما من حل؟ باعتقادي أن الحل مرهون بتطور الحركة العربية العامة وبتطور المواجهة.

● **ما هي الأخطاء التي ارتكبها كل طرف في حرب لبنان داخلياً وخارجياً (عرب وغرب) وهل كان من الممكن تفادي هذه الحرب؟**

■ حسب ما أعتقد، كان من الممكن تفادي حدوث هذه الحرب، بمعنى أن تنشأ مشاكل في لبنان بسبب الأوضاع الموجودة ويتحول بعضها إلى صراعات دموية. هذا محتمل وقائم في أي وقت وقد حصل.

حصل عام ٥٨ وعام ٦٨ وحصل في سنوات أخرى. احتواء هذا كان يجب أن يحصل. لكن الحقيقة، هي إن لبنان دفع ضريبة الوضع العربي العام، وضريبة هذه المرحلة من المواجهة التي هي بظروفها وطبيعتها مرحلة مائعة جداً، ودفع أيضاً ضريبة من نوع آخر، وهي كوننا دخلنا في أزمة بعيدة جداً خارج الصدام في القمة الدولية وخارج الوفاق أيضاً. كيف؟ لنأخذ مثلاً عمان ١٩٧٠. كانت هناك أزمة وكانت هناك مشكلة بين سلطة محلية في بلد عربي وبين المقاومة الفلسطينية. الحكاية نفسها حصلت في لبنان. هناك مظاهر مشتركة تقريباً بين الأزمتين.

أولاً: هناك الوجود الفلسطيني. ثانياً: الاصطدام مع سلطة محلية. ثالثاً: هناك تدخل عسكري سوري. رابعاً: هناك تربص اسرائيلي، خامساً: هناك اهتمام غربي بالتدخل العسكري السوري مهما اختلفت الظروف.

سنة ١٩٧٠ اهتم العالم كله، وانحصرت الأزمة، وكانت المواجهة في حدود معينة. سنوات ٧٥ ـ ٧٦ ـ ٧٧، جلس العالم يتفرج. ما هو الفرق بين الاثنين؟ الذي حصل في عمان سنة ١٩٧٠ كان أزمة، لأنه بسبب وجود علاقات بين طرف عربي أو بين أطراف عربية وبين القمم الدولية احتويت الأزمة بسرعة وحلت

المشكلة أو على الأقل أحيطبها.

في لبنان هذا لم يكن موجوداً. حصلت ظروف في العالم العربي سمحت لدولة واحدة بالوجود، وهي الولايات المتحدة، وظلت الدولة الثانية بعيدة أو مستبعدة.

تعالي نقول ان ما حدث في لبنان لم يكن دولياً، إلا إنه لم يكن أزمة، كان مأساة. في المآسي يقف الناس، ليتفرجوا ويتمنوا الخير لهذا وذاك... في الأزمات، لا يستطيع أحد أن يترك المسائل تجري في تفاعلاتها من غير محاولة السيطرة عليها.

نخطىء إذا حاولنا أن نبعد الصراع العربي الاسرائيلي خارج الحركة الدولية، فنحصره في مجال واحد. نأخذ أقرب مثل على هذا، تركيا واليونان. تقع معركة بينهما لكنهما لا يشكلان أزمة دولية. تركيا غزت قبرص، الأميركيون كناس في معسكر واحد، وكرب اسرة، اتصلوا بالطرفين «واختشي يا أخينا، وانت اختشي يا أخينا» ولفلفت القضية للوصول إلى حل، أو على الأقل تظل هكذا محتوية ولا أحد يهتم. لكن لتأتي أزمة أقل حتى من أزمة قبرص، لكنها تمس العلاقات الدولية، تمس الصراع الدولي على القمة فلا يستطيع أحد أن يتحملها. نحن ارتكبنا غلطة، وهي بسبب الظروف التي دخلنا وبسبب تصوراتنا، جعلنا عدداً كبيراً من أزماتنا يتحول إلى مآس لأنه بعيد عن حركة الصراع الدولي على القمة.

● **هل سمعت تصريحات كيسنجر الأخيرة، بأن سياسة الخطوة خطوة ما هي الا كذب بكذب لكسب الوقت، وبأنه منع اسرائيل من أي تراجع في حرب اكتوبر. هذا يؤكد وجهة نظرك ضد كيسنجر. ما رأيك؟**

ثم بناء على استنتاجاتك السياسية، ما هو مستقبل الشرق الأوسط في كل السياسة الأميركية الجديدة؟

■ اسمحي لي أن أختلف معك. «هذا يؤكد وجهة نظرك ضد كيسنجر». أنا عندي وجهة نظر ازاء كيسنجر وليس ضده. مهمة الكاتب السياسي لا أن يبقى ضد أو مع، مهمته محاولة درس المواقف وتحليلها. في الواقع أنا ككاتب معجب في الذي قام به كيسنجر، وأعتقد أنه حقق أكبر

شيء، يجب أن ننظر لموقف التفاوض العربي الذي يقرر العلاقة مع الادارة الأميركية الجديدة، وعندما أقول التفاوض، لا أعني التفاوض بالكلمات إنما بكل أسلحة التفاوض وأولاً: أين أنا من القوة؟

● **هل سيعقد مؤتمر جنيف هذه السنة أم انه أكذوبة؟**

■ جنيف ليس أكذوبة. لكنني قد اختلف مع بعض الناس الذين يتصورون ان مؤتمر جنيف من الممكن أن يعقد قبل آخر اذار (مارس) كما يقال على لسان بعض المسؤولين، وفي بعض الخطب والبيانات. هذا صعب جداً، والسبب ببساطة ان للإدارة الأميركية الجديدة أولويات وقضايا معلقة كثيرة ولسنا الاهم بالنسبة اليها خصوصاً اننا منطقة مهدأة، وتفاعلاتها في الوقت الحالي مآس وليس أزمات. ومن الممكن أن ننتظر. لكن لا أحد يتصور أن أميركا التي أصبح لها استثمارات سياسية في الشرق الأوسط ستترك كل شيء ينهار ويقع، بالتأكيد ستقوم بعمل ما، بمعنى أن أميركا ستهتم؟ أجل ستهتم. لكن متى؟ هذا هو السؤال. وأي نوع من الاهتمام؟ هذا سؤال آخر.

أتصور ان أميركا لن تستطيع الاهتمام بطريقة معقولة قبل نهاية الانتخابات الاسرائيلية وقبل أن يكون الرئيس الأميركي قد كون فكرة عن أزمة الشرق الأوسط لأن أمامه مشاكل ملحة وبالذات في المجال الاقتصادي سواء الأميركي أو العالمي. فمشكلة الاقتصاد العالمي وتأثيراته في أميركا أو تأثير أميركا فيه، موضوع في منتهى الأهمية، واعتقد انه أول الأولويات بالنسبة إلى كارتر. وهناك قضايا ملحة ثانية. إذا أردنا معرفة الأولويات عند كارتر نجد: الموقف الاقتصادي والموقف الداخلي في أميركا. موقف الاقتصاد العالمي بما فيه موقف الجنيه الاسترليني وموقف اوروبا الغربية والسوق الاوروبية المشتركة. ثم لا بد لكارتر أن يهتم بالمعسكر الآخر، الاتحاد السوفياتي، خصوصاً انه يسمع الكلام عن تفوق الاتحاد السوفياتي بأسلحة معينة. لا بد أن هذه الأمور تزرع نوعاً من القلق عند صانعي الاستراتيجية الغربية، وبالتالي لا بد لكارتر، كما تصور وقال، في مقابلة بريجنيف قبل أيلول (سبتمبر) المقبل.

بعد هذا ستواجهه مشكلة حقيقية كبيرة وهي جنوب أفريقيا. بعد كل هذا،

ممكن أن يصل لأزمة الشرق الأوسط، وهكذا كما أتصور اننا، بالنسبة إلى ترتيب أولوياته، نحتل الأولوية السادسة.

نحن نلح على مؤتمر جنيف، وأظنه يريد أن يوقف الأزمة أو يسكتها عند هذا الحد. ومن أجل هذا يبعث برسله إلى المنطقة للدراسة، ولا أستبعد أن يوجه دعوات للساسة العرب للذهاب إلى واشنطن، فيقابلهم ويتكلم معهم. ولا أستبعد أن يحصل نوع من جنيف وليس كل مؤتمر جنيف في هذه الفترة. وكل هذا في اعتقادي، من أجل كسب الوقت لغاية أن تنتهي الانتخابات الاسرائيلية ويتبلور الموقف العربي أكثر، والأهم ما يتبلور عنه الموقف الأميركي ازاء هذا كله، وبالتالي، أتصور انه ممكن جداً ان جنيف تعقد في أوائل ايلول (سبتمبر) أو تشرين أول (اكتوبر) أي في أواخر السنة.

ثم إنني أعتقد ان هناك الكثير من الكلام يدور في المنطقة سواء من ناحية اسرائيل أو من ناحية العرب، ولا يزال كل هذا الكلام في الدائرة التي تسمونها في لبنان «حوار الطرشان»، كل طرف غير فاهم ماذا يتكلم الطرف الثاني. وبالتالي أكرر لك، ان جنيف ليست خدعة أو أكذوبة، هناك شيء اسمه «جنيف»، لكن هذه هي الظروف المحيطة به.

● **ننتقل إلى موضوع آخر، ما رأيك في مصر وليبيا؟ وهل مبادرة احدى المجلات المصرية اليسارية تعكس تعاطف اليسار المصري مع القذافي أم هي خبطة صحافية فقط؟**

■ بالدرجة الأولى هي خبطة صحافية كما أتصور. وأنا لم أتابع تفاصيلها. أما بالنسبة إلى وجود وساطة، فأنا من الناس الذين يتمنون باستمرار وجود وساطة تجمع بين مصر وليبيا، لأنني كنت وما أزال مقتنعاً بامكانية الوحدة بين مصر وليبيا، وهذا موضوع أكبر من معمر القذافي وأكبر من أنور السادات، لأنه متعلق بأمور كثيرة جداً هي أكبر من شخصين.

● **ألا يمكن أن تلعب أنت دور الوساطة بين مصر وليبيا؟**

■ اسمحي لي أن أقول بأنني لم أحاول لعب هذا الدور ولن ألعبه، رغم ان أطرافاً كثيرة جداً طلبت مني هذا. بعض أعضاء مجلس الثورة الليبي، وهم يرون تردي

الأحوال في العلاقات بين البلدين، ارسلوا إليَّ جوابات خطية. الحقيقة رديت نفسي عن هذا التدخل. لأنه، لغاية وجودي في «الأهرام» حيث كنت قريباً من الرئيس السادات، كنت أسمح لنفسي القيام بهذا العمل. لكنني تركت «الاهرام» ثم انني آخر مرة رأيت فيها معمر القذافي كانت في أيلول (سبتمبر) ١٩٧٣ قبل الحرب. بعد ذلك لم أره اطلاقاً، حتى وأنا أقوم بجولة في العالم العربي بسبب كتابي، لم أذهب إلى ليبيا؟ لأنني لا أريد. السبب: العمل السياسي يتكلم عنه العاملون فيه، الموجودون داخل الصورة السياسية، لكن الذين خرجوا، ليس من حقهم في اعتقادي أن يقحموا أنفسهم في أوضاع يجهلون تفاصيلها.

هناك فرق كبير بين أن أكون قريباً من الرئيس، سواء الرئيس السادات، أو الرئيس عبد الناصر، وأقوم بدور في أمر أنا مؤمن به. وبين أن أكون بعيداً. أنا ابتعدت واخترت أن أنتظر وأحافظ على دور مراقب الأحداث.

وأنا أفضل أن يكون الوسيط من داخل الصورة وبرضى الطرفين وبطلبهما. ثم إن الوسطاء برأيي يعقدون أكثر مما يقربون.

● **بعض الناس ينظرون اليك انك صديق القذافي وتحلم أن تؤدي معه الدور الذي أديته مع الرئيس عبد الناصر. ما رأيك بسياسة القذافي؟**

■ لنأخذ السؤال بأطرافه المختلفة. من جهة انهم ينظرون إليَّ كصديق القذافي، أنا أقبل بهذا. وأعتبر نفسي صديقه. وإذا كان هو يعتبر الشيء نفسه، فإنني أكون سعيد، أعتقد أن القذافي رجل وطني وقومي، وشاب مليء بالحماسة. ثم أن له داخل ليبيا ايجابيات، وله ايجابيات خارج ليبيا، كما أن له مشاكل أو سلبيات في الداخل والخارج، لكنني أعتقد أنه في مجمل ممارساته، من الظواهر الشابة في العالم العربي.

اما أن أقوم بالدور نفسه الذي قمت به مع عبد الناصر، فهذا لم يخطر ببالي ولا يمكن أن يخطر. لأن الانسان لا يكرر نفسه. تعرفين، عمل تجربة مع عبد الناصر ثم تكرارها مع أي انسان آخر، غير ممكن. قمت بهذا الدور مع عبد الناصر لأننا من بيئة واحدة، من داخل وطن عربي واحد، من ظروف واحدة، من اتصال يومي مستمر.

أنا لن أستطيع العيش في ليبيا، لأنني لن أعيش الا في مصر، في بيتي. ثم إنني لا أعرف ظروف ليبيا بالقدر الكافي ولا أعرف عقلية ونفسية القذافي، ولا الاعتبارات التي تحركه. أحياناً من بعيد، أتساءل كيف يقوم القذافي بهذه الأعمال، وأحياناً ومن بعيد أيضاً أعجب بأعمال يقوم بها.

ثم هناك فرق بين العمل كصحفي والقيام بدور ما عبر التزام معين، وبين أن يتحول هذا الدور إلى حرفة. لست مستعداً أن أقوم بدوري مع عبد الناصر، لا مع معمر القذافي ولا مع أنور السادات ولا مع أي شخص آخر. هذا موضوع مرهون بظروف تاريخية معينة غير قابلة للتكرار إلا إذا حولت القناعات إلى ارتزاق، وهذا يعني مصيبة.

● **نعود إلى مصر. رأيك في الانفتاح؟ في حركة الطلبة؟ الأحزاب الجديدة. وهل أنت مع السماح بالحزب الشيوعي ما دام هناك أحزاب؟**

■ بالنسبة إلى الانفتاح، أنا أعتقد ان مستقبل مصر مرهون بالتنمية الزراعية والصناعية، ولا أعتقد انه يمكن عمل هذه التنمية الزراعية الصناعية داخل مصر بالانفتاح أو برأس مال أجنبي.

رأس المال الأجنبي لن يأتي مصر ولو انتظرنا مليون سنة، وذلك لأسباب عملية.

قبل الثورة لم يكن هناك من رأس مال أجنبي كانت هناك مصالح أجنبية موجودة من بقايا العصر الاستعماري لم يضف اليها رأس مال أجنبي.

رأس المال الأجنبي لا يأتي إلى بلاد العالم الثالث ليواجه المخاطر السياسية، إلا إذا أمن نسبة أرباح عالية بين ٤٠ و ٥٠ بالمئة تبرر المخاطر السياسية. لا موارد عندنا في مصر تؤمنها. لأنها لا تؤمن إلا بالمواد الخام، بترول، نحاس، الخ.. ثم ان مصر محتاجة لبناء لهيكل التحتي الاقتصادي، محتاجة للصناعة والزراعة، ومن المستحيل أن يأتي رأس المال الأجنبي لاستثمارات زراعية مثلاً. ممكن أن يعطينا خبرة تكنولوجية أو معلومات تكنيكية، وهذه ندفع ثمنها ولا تسمى انفتاحاً.

لنحول السؤال هكذا: هل كنا منغلقين على الخبرة الأجنبية لهذه الدرجة؟ لقد

كانت هناك شركات بترول في مصر. الميثاق الذي كان موجوداً كان يقول اننا نستطيع التعاون مع رأس المال الأجنبي في ظروف معينة لا نملك فيها الخبرة الوطنية.

في السيارات مثلاً، تعاونا مع شركة «فيات» وهي شركة غير مصرية. وهذا ليس انغلاقاً، وكذلك في صناعة الأدوية تعاونا مع شركة «سيبا» وشركات أميركية أخرى.. ثم شركات البترول التي كان لنا معها رأس مال مشترك. اذن كان هناك مجالات يستطيع من خلالها رأس المال الأجنبي أن يستثمر المجالات التي تدر ربحاً وعائداً سريعاً. لكن هذه ليست كلها مشروعات مصر. التنمية المصرية لن تقوم إلا على الزراعة والصناعة. وبناء مجتمع جديد لا يمكن اطلاقاً أن يتم من غير قاعدة زراعية صناعية ثابتة. وللظروف التي شرحتها لن يأتي رأس المال الأجنبي. ثم إنني أسأل: إلى أي بلد في العالم الثالث ذهب رأس المال الأجنبي؟ ممكن أن يأتي على شكل مصارف أو تصدير سلع استهلاكية.

وهذا ما رأيناه: مصارف برأس مال صغير جداً، تعمل بالودائع المصرية وتشتغل خارج مصر أو مع غير المصريين، وتحقق أرباحاً خيالية وتحول أرباحها وهي مطمئنة جداً لأي طارىء. ثم اننا رأينا اغلاق استيراد البضائع الاستهلاكية. أين هو المصنع صاحب القيمة الحقيقية الذي انشيء باستثمارات أجنبية؟ الممكن هو وجود استثمارات عربية ومعونات عربية وموارد مصرية تضاف إلى هذا كله من أجل القيام بخطة.

هل سيدخل رأس المال الأجنبي في خطة؟ في تخطيط بعيد المدى إذا تكلمنا مثلاً عن الحديد وصناعة السفن؟ لم يحصل، افهم أن نقول اننا بحاجة لرأس مال عربي كما حصل في تصنيع السلاح. أن تقولي مثلاً نريد الدخول في صناعة سفن عربية، سكة حديد، صلب عربي، بترو - كيمياء عربي متكامل. هذا ممكن ومعقول ومقبول. لكن أن نقول أميركا ستجلب لنا؟ من أين؟ لن يأتونا بشيء. وبالتالي الكلام الذي يقال عن الانفتاح هو في النهاية وفي اعتقادي عمليات استهلاكية وعمليات ربح سريع تدفع ثمنها التنمية المصرية. هذا هو رأيي في الانفتاح، وأرجو أن أكون مخطئاً.

حركة الطلبة: باختصار، أنا أعتقد انه ليس هناك نظام له شرعية ويحرص على

هذه الشرعية يستطيع أن يتناقض مع الشباب، لأنه إذا حصل هذا، فقد النظام مستقبله. لكن لا يعني هذا، انني أقول ان الطلبة على حق في كل شيء. لكن الأسلوب الوحيد الممكن مع الطلبة ليس الوسائل البوليسية ولا وسائل المخابرات أو المباحث الخ. . إنما أسلوب الحوار. هذا كان رأيي وما يزال.

الأحزاب الجديدة: أنا لم أفهم جيداً الكلام الذي قيل عن الحزبية في مصر. لأن الاشتراطات الموضوعة لقيام هذه الأحزاب، أن لا تقوم على أسس طبقية، ولا أستطيع أن أتصور الحزب إلا باعتباره الطليعة المتسيسة للطبقة.

لكنني أتصور على أي حال، انه لا مفر لنا من تجربة الأحزاب، طالما فكت تجربة تحالف قوى الشعب العامل التي كانت موجودة في الاتحاد الاشتراكي والتي كان لها السيطرة على وسائل الانتاج. وطالما سمح لطبقة من الطبقات أن تبرز بمصالحها المتميزة، يبقى اذن الحق لكل الطبقات أن تبرز وتدافع عن مصالحها وتعبر عن نفسها سياسياً.

ضمن هذا كله، أتصور انه من غير الممكن القول ان هناك ديمقراطية حقيقية في الوقت الذي نمنع فيه رأياً معبراً عن مصالح طبقة من أن يقول رأيه، وبالتالي فالحزب الشيوعي كحزب اليمين وحزب الوسط لا بد أن يعبر عن طبقة. ومن الممكن أن يقول الحزب الشيوعي إنه يعبر عن الطبقة العاملة، وتختار الطبقة العاملة حزباً آخر، لأنها لا تريد الحزب الشيوعي. لكن لا نستطيع أساساً أن نمنع ظهوره ووجوده، وبالتالي عندما نقول: أحزاب، نقول ديمقراطية، أي كل المصالح تعبر عن نفسها.

● مع عظيم احترامي لشخصية عبد الناصر هناك أقوال متضاربة وكثيرة ضده، مثلاً موقف عبد الناصر من الديمقراطية؟ وخطأه عدم ايجاد حزب يضم كل أنصار الثورة؟

■ نأخذ أولاً الأقوال المتضاربة. أنا أعتقد ان جزءاً كبيراً جداً من الحملة ضد عبد الناصر موجه. وليس صحيحاً انها حملة لا مثيل لها في التاريخ، لأنها حصلت، على سبيل المثال نأخذ كروميل في انكلترا الذي قاد ثورة ضد الملك، وطارت

الأسرة المالكة. . ثم مات. وعندما رجع الملك جيمس الثاني أخرج هيكل كروميل العظمي من القبر وشنقه وشوهوه، وحاكموه ثم علقوا هيكله العظمي. . هذا ما تتعرض له الثورات وأبطال الثورات والشخصيات التي تبرز في ظروف الثورات، تتعرض لتشويه من العناصر المعادية للثورة التي مع أول فرصة تنقض على الثورة. وهذا ما حدث في الثورة الفرنسية الكبرى. تعرض عبد الناصر لحملة عاتية جداً لأنه هو تعرض في حياته لقوى عاتية جداً، والحملة ضارية جداً بمقدار حجم المصالح الموجودة على الأرض العربية، لأن عبد الناصر حجب ومنع قوى كثيرة. هذا طبيعي، وهذا يدعو إلى مزيد من التنبه بالنسبة إلى الناس الذين حاولوا الدفاع عن عبد الناصر بأن لا يتراجعوا أمام بعض الأخطاء.

أما أن نقول ان لا أخطاء عند عبد الناصر، فلا أحد في الدنيا من قال هذا. ومن ناحية ثانية ان الديمقراطية كانت في أخطاء عبد الناصر، أنا أعتقد انها فعلاً كانت من أخطائه. لأنه جاء بعد تجربة حزبية فاشلة في مصر، وجاء عبر وضع طبقي معين في مصر، وجاء في وضع يفرض الحرية الاجتماعية أولا ويمنحها الاولوية. وأنا مع اعطائها الاولوية لكن السؤال: هل تقومين بهذا من فوق أو بالحوار بين قوى الشعب؟ نصل إلى مرحلة التطور التي كان يعيشها الشعب المصري والأمة العربية كلها. والضغوط التي كانت موجودة على عبد الناصر والحرب التي تعرض لها، ونسأل هل كان في مقدوره أن يتصرف بوجه آخر ازاء المهمة الأساسية التي كان كرس نفسه لها وهي قضية التحول الاجتماعي والاقتصادي في العالم العربي وقضية حرية هذا العالم السياسية ازاء الاستعمار. ومع ذلك أريد أن أقول انه اثناء الثورة في الوطن العربي كله، كانت هناك حرية التعبير فظهرت الصحافة اللبنانية والصحافة الكويتية، أما العصر الحالي الذي يسمى «ليبرالي» فإن صحافة لبنان أسكتت وكذلك صحافة الكويت. أليس هذا أمراً غريباً؟

من ناحية الحزب وعبد الناصر. الحقيقة ان عبد الناصر تصور صيغة ثانية، ليس صيغة الحزب الواحد، انما صيغة التحالف، وهذه الصيغة في اعتقادي لم تجرب في مصر قط لأن فكرة الاتحاد الاشتراكي في الحقيقة، كاطار لقوى الشعب العامل لم تجرب تجربة حقيقية، انما باستمرار أوكلت إلى أشخاص أو تركت

لظروف سلبت جوهرها وحولت التنظيم إلى اداة للدولة بدلا من أن تعمل العكس

لا أعرف إذا كان على عبد الناصر أن يؤلف حزباً، إنما أتصور انه كان عليه أن يتفرغ أكثر لقضية تنظيم التحالف. وثم ان ظروف العالم الثالث وقضية التنمية والصراع الأولى في عصر الحرب الباردة أو عصر الوفاق، أظنها تقتضي نوعاً من الوحدة الوطنية داخل الوطن العربي الواحد.

● **يقال ان المدافعين عن عبد الناصر حالياً هم فئات قليلة مختلفة من الناصريين والشيوعيين غير الموحدين في حزب أو تنظيم ولا يملكون قوى تنظيمية حقيقية. ما رأيك؟**

■ ما تقولينه غير صحيح، لأن المدافعين عن جمال عبد الناصر هم غالبية شعب مصر. والصراع الحالي الدائر: من يمثل عبد الناصر. الرئيس السادات قال: «أنا أمثل عبد الناصر».

الشيوعيون يمثلون الناصرية من جهة نظرهم، وهناك بعض الشباب الناصري المتجرد. لكن الواقع يقول ان القاعدة العريضة غير المنظمة في مصر هي ناصرية.

● **حزب التجمع الوطني القومي الوحدوي الذي يقال انه يضم الشيوعيين والناصريين، هل تعتقد انه حل المشكلة؟ وهل يستطيع أن يضم كل أنصار ثورة ٢٣ يوليو؟ ولماذا لا تنضم أنت اليه.**

■ أنا أعتقد إن الناصرية أكبر جداً من طاقة هذا التجمع.

أما لماذا لا أنضم أنا لأحزاب؟ أنا قلت وأقول انني أعمل كصحافي فقط ولا أريد القيام بأي عمل آخر.

● **هل تفكر في تنظيم حزب جديد؟**

■ أبداً، لا أفكر، لا يستطيع أحد أن يمد نظره أبعد من الواقع، ثم انني غير مقتنع بتجربة الأحزاب التي أتمنى لها النجاح. ثم أنا أتصور ان الأيام ومستقبل الأيام ستبرز تنظيماً ناصرياً مختلفاً عما نراه اليوم.

جاءني بعض الشباب الناصري يطلب مني الانضمام للناصريين أو لليسار أو القيام بعمل آخر. كان رأيي الدائم، انه من الأفضل جداً أن يتصدى للتجربة

الناصرية بعض الناس المؤمنين بها والذين قامت التجربة من أجلهم وعاشت لهم وليس الذين عاشوا فيها.

هذا الجيل الناصري الجديد ينبغي أن يتصرف من دون وصاية من الحرس القديم مهما كانت مفيدة، لأن على هذا الجيل أن يفتح الطريق، وفي النهاية إذا دافع عن عبد الناصر الذين ارتبطوا به فقط، فإن القضية لا بد خاسرة.

ثم أن يقود القدامى الجيل الجديد فهذا سيدخلنا في مشاكل العمل السياسي في هذه المرحلة. مثلاً أنت تريدين شباباً ينفعل ورؤيته جيدة، ان المداخلة معهم ستسهل على أجهزة الأمن أن تقول إنك تحرضين الشباب، أو نجد الشباب يقول: هؤلاء يفرضون أنفسهم علينا.

لنترك الحركات السياسية تنضج وتتفاعل من تحت، من الشارع. ثم إنني ضد أي تصور يدعو إلى اختصار مراحل التطور. هذا كان ممكناً في قيادة كقيادة عبد الناصر، لكن في غياب هذه القيادة، على التطور أن يأخذ مجاله ومجراه وأن ينشأ نشأة قوى حقيقية تقوده وتظل مصالحها مرتبطة به وكذلك مستقبلها.

● **عام ١٩٧٠ كنت واحداً من المرشحين كي تخلف عبد الناصر. هل تعد نفسك حالياً لرئاسة الجمهورية؟**

■ نأخذ الجزء الأول من السؤال، لأقول: هذا ليس صحيحاً.

● **بعض المراقبين رشحك وكذلك الاذاعات الأجنبية.**

■ كانوا يتكلمون بعيداً عن الواقع. شيء طريف أن يقال عن الواحد انه رشح نفسه لرئاسة الجمهورية وأيضاً شيء لطيف أن يرشحه الآخرون.. لكن... لنتكلم عن الترشيح. كيف يمكن أن يكون هناك مرشح لا تسنده قوى حقيقية من القوى الفاعلة في الحركة السياسية في بلد من البلاد.

المؤسسات التي كانت موجودة يوم وفاة عبد الناصر في ٢٢ ايلول (سبتمبر) هي الاتحاد الاشتراكي وفيه بعض الناس المختلف معهم، لأنني أعتقد انهم افرغوا الاتحاد الاشتراكي من مضمونه. ثم القوات المسلحة التي كانت في ذلك الحين

وبظروفها مشغولة بمعركة.. وعلى أي حال، أنا لست من القوات المسلحة ولا من التنظيم السياسي، كل الذي كان، انني صحافي أكتب، وآرائي بشكل ما كانت تلقى الصدى، ثم انني كنت صديقاً وقريباً من جمال عبد الناصر.. فقال البعض: «يلا نرشحه». ثم انني لم أكن موجوداً في الادارة الحكومية ولم أكن نائب الرئيس. ثم لا تنسي انه في الواقع والحقيقة، كان هناك دستور مصري، وكنت أنا مع احترام التقاليد الدستورية، لأن أي خروج عليها في ذلك الوقت كان من الممكن أن يؤدي إلى حرب أهلية، لذلك بعد الوفاة عندما نزلنا من غرفة عبد الناصر، سألني الرئيس السادات يومها: «رأيك ايه»؟ وكان رأيي أنه لا بد من العمل بالدستور، لأنه لا بد من الاحتكام إلى قاعدة وضعت سلفاً، لأنها الضمان. وكان الحل الوحيد أن يتقدم الرئيس السادات، وكان يومها نائب الرئيس، ويملأ الفراغ ويجري استفتاء بعد ستين يوما.. ولم يعترض أحد على هذا، لأننا أتينا بقاعدة وضعت فعلاً لمثل هذا الظرف كي يحتكم اليها.

● **وحالياً هل تعد نفسك لرئاسة الجمهورية؟**

■ أبداً.. أبداً.

● **لماذا؟**

■ أولا أنا خارج كل التنظيمات.. ثم أعمل ايه في الرئاسة؟.. ثم هي بحاجة لشيء آخر مختلف تماماً.. ثم هناك التطور، تطور الظروف... أتصور انها بحاجة لأمر مختلف تماماً...

● **هل لك علاقة بالناصريين في مصر؟**

■ طبعاً. خاصة وانني من الذين يتمنون للحركة الناصرية أن ترسخ وتزدهر في المجتمع المصري، فضلا عن اعتقادي بأن المصلحة الفكرية للتجربة الناصرية لا تزال مناسبة وقائمة لمواجهة التطور المصري ومطالبة. أكثر من هذه العلاقة لا أريد، ثم انني أريد أن أضرب مثلا لغيري، ليس من الضروري أن يتصدر الحرس القديم التجربة الجديدة. يجب على هذه التجربة أن تكبر للتأكيد على اليقين بالمبدأ.. في النهاية، أنا مهما قلت فإنني أدافع عن دوري، أدافع عن ماضيي. أنا

لا أريد هذا، أنا أريد انساناً يتكلم عن مستقبله ومستقبل بلده من خلاله.

● **ما هي الأسس الثابتة المطلوبة لوحدة عربية جديدة شاملة وناضجة، بعد أن أصبحت الوحدة تدعو إلى الخوف؟**

■ بلا جدال، الوحدة تدعو إلى الخوف. نحن أمام عدة أمور. في اعتقادي، ان دواعي الوحدة موجودة في العالم العربي وقوية جداً، لكن المشكلة ان دواعي الانفصال أيضاً في هذه المرحلة موجودة وقوية جداً، واعتقد انه علينا في الفترة المقبلة أن نبحث عن نوع من الوحدة يحقق وحدة الارادة، ويبقى أو يذيب على مهل وعلى مسافة طويلة جداً الظروف التي تدعو للانفصال. اليوم، من الممكن أن تبقى قضية الوحدة العربية معارضة للمصلحة الوطنية في بلاد كثيرة جداً. بلاد البترول مثلاً. كيف يمكن العمل على وحدة إرادة تبقي لهم بالدرجة الأولى الكلمة الأولى في ثروتهم وفي الوقت نفسه تبقى ظروفهم السياسية مع الوحدة.

في هذه الفترة أتصور أننا بحاجة أن نجد الصيغة المعقولة التي تلبي دواعي الوحدة وضرورتها وأهمها، وحدة الارادة السياسية، وتأخذ هذه الوحدة في الاعتبار ظروف تفاوت الثروة وظروف الطبقية في العالم العربي، وتحاول مع برنامج طويل أن تذلل كل عقبات الوحدة..

● **بعد خروجك من «الأهرام» خف بريقها صارت باهتة ومهذبة جداً. ما هي في رأيك وسيلة انقاذها، لاستعادة مجدها؟**

● ربما يكون هذا هو السؤال الوحيد في كل أسئلتك، الذي لن أجيب عليه.. لكنني أقول لك شيئاً، إن بيني وبين «الأهرام» رباطاً قوياً جداً شئت أنا أم أبيت، عمر «الاهرام» مئة سنة، ومن عشرين سنة كنت رئيس تحريرها لمدة ١٨ سنة، أي تقريباً سدس عمر «الاهرام» وتشكل هذه الفترة إعلامياً ووطنياً وعربياً بدور أنا شخصياً راض عنه ثم في هذه الفترة قمنا في «الأهرام» صحافياً وعلامياً ووطنياً وعربياً بدور أنا شخصياً راضي عنه وسعيد به، واعتقد ان خروجي من «الأهرام» اضاف لهذا الدور ولم يأخذ منه، لأنه أثبت أمام كل الناس انه ليس موضوع تكنولوجيا أو صلات بالسلطة أو موضوع تأثير، لكنه في النهاية موضوع قناعات تصطدمين في

قناعاتك بأوضاع معينة، فترفضين تبديل هذه القناعات بأمور أخرى، أي بمنتهى التواضع تقولين: لا أستطيع.

لذلك، أنا أحزن جداً وأتضايق، إذا تكلم أحد عن «الاهرام» حتى اليوم، واتمنى إذا كان هناك من أوجه تقصير أن تتجاوزها «الاهرام» لأن...

● **لأن الموضوع يمسك؟**

■ لا يمسني، بل لأنه أنا، في حجارته كلها، في حكايته كلها لوحة وضعتها أنا في مكانها، في كل ماكينة في كل مكتب في كل خدمة معينة تؤمنها «الاهرام».

● **هل صحيح أنك رفعت قضية ضد مجلة «المصور» لاتهامها لك بالثراء غير المشروع؟..**

■ «المصور» لم تتهمني بثرائي غير المشروع. لكنها اتهمتني بأنني اشتريت قطعة أرض من رجل موضوع تحت الحراسة مستغلاً فيها سلطتي. وأنا رفعت قضية، وبالرغم من المحاولات الكثيرة جداً لتشويهي والتي حصلت ومستمرة، فأنا لا أتكلم فيها أو عنها اطلاقاً، لكن لأن الموضوع يمس الذمة المالية، فلم أتركه بل ذهبت بسرعة إلى القضاء وقاضيت «المصور» و«وكالة الأنباء الفرنسية» التي نقلت عن «المصور» هذا الخبر. وفي المحكمة، وبعد ان قدمت وثائقي اعتذرت «وكالة الأنباء الفرنسية» وسجلت اعتذارها في المحكمة وأخرجتها من القضية.

تقول «المصور» إنني اشتريت قطعة أرض من أجنبي تحت الحراسة. أنا اشتريت قطعة أرض على دفعتين. الجزء الأول اشتريته من عضو في مجلس ادارة «الاهرام» وهو الذي عرضها عليَّ. وحصل إنني أخذت مكافأتي من «أخبار اليوم»، وذهبت لأشتري أسهماً أضعها في شركة «ايسترن للدخان»، وكان هو يهتم حينذاك في هذه الشركة، فقال لي: لماذا الأسهم وليس قطعة أرض.

أنا عندي قطعة أرض أخذتها بدل أتعاب في قضية، أبيعها لك.. وكان هو أهمل هذه الأرض بعد وفاة زوجته. لما رأيت الأرض تحمست لها، وكان ذلك عام ٥٦ ولم يكن هناك من حراسات اطلاقاً. ثم انني اشتريت الأرض بسعر أغلى من المعروض لأنه سمح لي بالتقسيط. وكل هذه الأمور اطلعت المحكمة عليها،

وأطلعتها على كل الايصالات المالية، لدرجة ان آخر فاتورة أرسلها لي كانت فاتورة برسم التحصيل، بما فيها ثلاثين قرشاً لثلاثة شهود أتوا بهم من على باب المحكمة.

الجزء الثاني من الأرض اشتريته من ناس مصريين ليسوا أجانب ولم يكونوا تحت الحراسة. انهم ورثة عزمي باشا الذي كان جاري وعنده قطعة أرض قرب منزلي، من ضمن أرضه، فاشتريت منها قطعة بسعر أغلى من السعر المطلوب. وهؤلاء قدموا شهاداتهم.

طيب. يقولون من أين أتى بالمال! في المحكمة أنا وضعت كل إقرار ذمتي المالية، الأرض الأولى كانت بعشرة آلاف جنيه دفعتها على ثلاث سنوات وقبلي كان كذا واحد يريدون شراءها بينهم الدكتور جمال العطيفي. وآخر سعر وصلت اليه الأرض كان ٨ الاف جنيه. وبسبب التقسيطدفعت ١٠ الاف جنيه.

كانت مكافأتي من أخبار اليوم ٧ آلاف جنيه، ولأنني أعرف حساسية المسائل المالية، طلبت أن تكون المكافأة في «شكين»، الشك الأول بخمسة آلاف جنيه أخذته وعلى ظهره حولته لصاحب الأرض وقبض المبلغ على شك صادر باسمي من «أخبار اليوم». القسط الثاني حولت له اسهماً في شركة «الخزف الصيني»، وكانت بثمن الفي جنيه، وأرسل لي الايصال من عند رجل البورصة. الجزء الثالث، بعت أسهمي في شركة «شاهر» وكانت لأقرباء لي، بعتها في البورصة بألفي جنيه.. والألف الأخير كان من السهل أن أدبره..

قطعة الأرض الثانية كان ثمنها ٢٣ الف جنيه اشتريتها بعد كتابي «عبد الناصر والعالم»، وقبل أن أشتريها كان تحول لي من فلوس هذا الكتاب خمسون الف جنيه استرليني.. والبنك الأهلي موجود.. إذا سألتني عن حالتي أقول الحمد لله كويسة قوي. خذي أول كتاب، إنه طبع بـ ٢٦ لغة.. لما يطلع لأي كاتب في العالم كتاب بـ ٢٦ لغة، ويأخذ من كل لغة ٥ تعريفة يطلع له في النهاية مبلغ..

لذلك، أنا مستعد أن أسكت عن كل الكلام الذي يقال من ناحية الحياة السياسية، لكن الذمة المالية، لا، أذهب المحكمة بسرعة.. «وكالة الأنباء

الفرنسية» أرسلت لي رئيس مجلس ادارة الوكالة في باريس، للاعتذار، بعد أن رأوا الوثائق قلت لهم: لكنني أريد اعتذاراً كاملاً يسجل في المحكمة.. وحصل.. وهذا الموضوع.

● **ماذا تفعل حالياً وقد سمعت ان مواعيدك مزدحمة أكثر مما كانت في «الاهرام»؟**

■ أكتب، أنا من حين مغادرتي «للاهرام» انتهيت من كتاب «الطريق إلى رمضان» وكتاب «العالم العربي» سيصدر هذه السنة في أيار (مايو) واعمل حالياً في كتاب عن «الاتحاد السوفياتي في الشرق الأوسط، من الحرب الباردة إلى الوفاق» ومتعاقد بعده على كتاب عن أميركا حول الموضوع نفسه.. يعني دور روسيا من بعد الحرب العالمية الثانية حتى الوفاق، ودور أميركا.. روسيا في كتاب وأميركا في كتاب آخر. عقد هذين الكتابين معي، ومعي لغاية سنة ١٩٨٠، كي انتهي في آخرهما. وكل كتاب سيترجم إلى عشرات اللغات. ثم انني أكتب أربع مقالات شهرية أقول فيها رأيي بقضايا العالم العربي، ولا أقصد من خلالها العمل في الصحافة بل القصد أن يبقى رأيي موجوداً ومسموعاً. وإلى جانب هذا، أعمل أحياناً في مجال الخدمة العامة. الجامعة العربية مثلا جاءتني قائلة انه لو كان بامكاني أن أستلم مشكلة الاعلام العربي في العالم الخارجي، وافقت، أخذ مني هذا العمل ثلاثة أشهر قدمت للجامعة في النهاية تقريراً مطولاً شاملا..

ثم بعد ذلك وقبله، أنا أقابل الكثير من الناس وبرنامجي في اليوم العادي انني أصحى باكراً في الصباح، اذهب النادي الساعة السابعة ألعب الغولف، في التاسعة إلا ربعاً أكون في المنزل أفطر وأدخل مكتبي، يستمر عملي من التاسعة صباحاً حتى الثالثة بعد الظهر. وفي حوالي الخامسة اما أن أواصل عملي، أو أقابل الناس. كل الشخصيات العربية التي تأتي مصر تزورني ويأتيني صحافيون من العالم كله، أنا على اتصال بالصحافة في العالم كله.. أشوف هنا في مصر كل الناس، أتكلم أناقش وأقول رأيي..

في يومي الخميس والجمعة أذهب إلى بيتي في الريف مع أولادي نلعب «بنغ بونغ» وكرة القدم وكل ما تتصورينه...

رد من هيكل على الدكتور محمد عصفور :
هناك نوعان من الديمقراطية
ديمقراطية بالموافقة- وديمقراطية بالمشاركة

بين عودة من سفر وتأهب لسفر يقتضيه عملي في كتابي الجديد عن «الثورة الايرانية» اطلعت في عدد جريدة «الشعب» الأخير بتاريخ ٢٣ ديسمبر ١٩٨٠ على مقال للاستاذ الكبير الدكتور محمد عصفور تحت عنوان «ديمقراطية . . آمين».

ولقد وجدت في هذا المقال اشارة لي ولبعض ما قيل أنه من «تنظيري السياسي»، ووجدت من حقك علي وحق جريدة «الشعب» وحق الاستاذ الكبير الدكتور عصفور . . أن أخرج على مألوف عادتي وأن أرد.

ان كل ما أقصد اليه هو وجه الحق والحقيقة.

ودعني أؤكد لك أنه لو كان المقال في غير «الشعب» لما اهتممت، ولو كان كاتبه غير الدكتور عصفور لما رددت.

ومع صادق التحية أرجوك أن تقبل عظيم تقديري لهذا الدور الذي تقومون به جميعاً في تأكيد وتعميق حق الرأي الآخر.

هيكل

● جريدة الشعب المصرية. ٣٠/١٢/١٩٨٠

■ لقد عودت نفسي منذ زمن طويل أن أتجنب الرد على الكثير مما يمكن أن ينشر عني أو يذاع. ولم يكن ذلك ـ فيما أرجو ـ عن بلادة حس أو عن مركبات غرور، وانما كان دافعي اليه انني أعرف من واقع الحال وعن طبائع الظروف ما يغنيني وأكاد أقول يرضيني!

إنني تمثلت بنصيحة الفيلسوف القديم، «قل كلمتك وامشِ». . وقد قلت كلمتي ومشيت، ولم أسمح لنفسي أن أتلكأ على باب أو أن أقف في انتظار دقة جرس. وهكذا فانني منذ أن تركت مكاني القديم في الاهرام، في ظروف ليس هذا مجالها الان، كان قراري ـ ولم أحد عنه ـ أن تكون حياتي في مصر وليس خارجها، وأن يكون عملي لها حتى وان حكمت الايام عليه بأن يظهر في بلاد أخرى غيرها.

وتفرغت منذ ذلك الوقت لاربعة كتب صدرت لي حتى الان في سوق النشر العالمية، فضلاً عن خامس يلحق بها في ظرف شهور، إلى جانب تحقيقات وتعليقات سياسية أكتبها في «التيمس» و«الصنداي تيمس» و«النيويورك تيمس» التي تصدر في لندن ونيويورك على التوالي. . وفي بعض الاحيان سمحت لنفسي أن أكتب مجموعات أحاديث في الشئون الجارية تنشر في بعض الصحف العربية ولكني توقفت عن ذلك مؤقتاً منذ عام لاسباب تتعلق بالأوضاع الطارئة في المنطقة كلها. وكنت والحمد لله راضياً دور قضية. . وكل مهنة مسئولية عارضة ـ بأن كل رجل موقف. . وكل ولا أزال. مقتنعاً ـ برغم أية مصاعب.

وأعترف انني هممت في بعض المرات أن أرد على القائلين وأن أصحح. لكني في معظم المرات نجحت في أن أتغلب على نوازعي ـ وهي انسانية ـ وأن أتنازل

عن حق الرد ـ وهو شرعي، أو على الاقل ينبغي أن يكون كذلك!

لكني هذه المرة ـ وازاء ما نسبه إلي الاستاذ الدكتور محمد عصفور في عدد «الشعب» الاخير تحت عنوان «ديمقراطية.. آمين!» ـ أخرج على مألوف عادتي وأحاول مجرد محاولة ـ قد تصيب وقد تخيب ـ أن أمارس حق الرد.. ربما لاني أعرف للشعب دورها في هذه المرحلة وربما لاني أعرف للدكتور محمد عصفور قدره بين كتابها. ولعلي لا أقبل لها ولا له خطأ في حق الواقع والتاريخ لا مبرر له ولا سبب يدعو اليه. وأغلب الظن أنه النسيان وابتعاد الايام وتشابك الروايات واختلاطها، إلى جانب الضباب الذي يكثفه الحاح الدعايات والدعاوى والادعاءات!

لقد كتب الدكتور محمد عصفور في مقاله بالحرف ما يلي:

«على الرغم من مناهضة نظام الحكم الناصري الديمقراطي أيا كانت التبريرات التي سيقت في هذا الشأن فلقد أصر مناصرو النظام على أنه نظام حكم ديمقراطي من نوع خاص. ولست أنا الذي وصف نظام الحكم في عهد عبد الناصر بأنه «ديمقراطية الموافقة» أو ديمقراطية آمين وانما أعطى هذا الوصف الاستاذ «هيكل» أحد كبار منظري النظام، فالاستاذ هيكل أنكر أن حكم عبد الناصر كان دكتاتورياً وإنما هو في نظره كان ديمقراطية فريدة في نوعها: «ديمقراطية الموافقة».

● ثم استطرد الدكتور عصفور مؤسساً على ذلك قوله:

«وهذا النظر غير صحيح.. ومرفوض تماماً بحكم المنطق وبحكم أصول الديمقراطية نفسها»

وربما يأذن لي الدكتور عصفور أن أقول أن ما نسبه إلي ليس هو ما قلته، وبالتالي فإن النتيجة التي أسسها عليه تستحق منه نظرة مراجعة. وأرجو أن أضع تحت عنايته مجموعة النقط التالية:

١ ـ ان الدكتور عصفور وصفني بأنني أحد كبار منظري نظام عبد الناصر.

وهذا شرف لي أتمنى أن أستحقه. ان تجربة جمال عبد الناصر كانت تجربة عظيمة في العالم الثالث كله. ولقد كانت أبرز قسمات عصر بأكمله في التطور العالمي الحديث، وهو عصر التحرر الوطني وأبطاله العمالقة. وليس يضير تجربة عبد الناصر أن تشوبها أخطاء، فالخطأ طبيعي كما هو انساني. ومن سوء الحظ أن تجربة جمال عبد الناصر التي يهتم العالم كله بدراستها الآن وتعود إليها كبريات الجامعات في الدنيا ـ وبينها الجامعات الأمريكية نفسها ـ بالدرس والتقييم، تدان إجمالاً في وطنها ويحكم عليها في غيبة الحق والحقيقة معاً!

تلك على أية حال قضية أخرى أوسع وأكبر من موضوع هذا الرد.

٢ ـ لم يحدث اطلاقاً أنني وصفت نظام حكم عبد الناصر بأنه كان «ديمقراطية فريدة في نوعها: ديمقراطية الموافقة».

كان ما قلته شيئاً آخر.

قلت، وما قلته منشور على الناس ومسجل علي ومحفوظ، اننا قد نستطيع القول بأن هناك نوعين من الديمقراطية... «ديمقراطية بالموافقة» و «ديمقراطية بالمشاركة».

وقلت أنه يشترط «للديمقراطية بالموافقة» أن يكون موضوعها تحقيق أهداف وطنية أجمعت عليها الشعوب المعنية حتى أصبحت هذه الاهداف من رموز نضالها الغالية. وضربت لذلك مثلاً محدداً هو قرار تأميم قناة السويس، شارحاً أن ظروف قرار التأميم خصوصاً على المستوى الدولي لم تكن تسمح بطرحه علانية للمناقشة المفتوحة.

قلت أيضاً أن هذا النوع من «الديمقراطية بالموافقة» محصور ومحدود، وأن التوسع فيه محفوف بالضرر، بل محفوف بالخطر.

٣ ـ انني استطردت من ذلك إلى القول بأنه مهما يكن من أمر «فإن عصراً مثل هذه القرارات قد مضى في مصر، وأنه لم يعد هناك بديل لمصر الآن ـ كان ذلك في الستينات ـ غير التوجه نحو «الديمقراطية بالمشاركة» وليس «الديمقراطية بالموافقة».

لعلي اتجاوز وأقول أنه كان بين عناوين ذلك المقال الذي تعرضت فيه لموضوع الديمقراطية عنوان يقول بالنص:

«لا بد أن ننتقل من الديمقراطية بالموافقة إلى الديمقراطية بالمشاركة» . .

وأظن ـ وأتمنى أن يراجع الدكتور عصفور النص وأن يراجع نفسه ـ ان هذا الذي قلته من وقتها يختلف تماماً مع ما نسبه إلي في مقاله في العدد الاخير من «الشعب» . .

٤ ـ اني أتمنى لو وجد الصديق الكريم الدكتور عصفور فسحة وسط شواغله لكي يراجع بعض ما كتبت أيام عبد الناصر في الدفاع عن الديمقراطية . . وأظنني أستطيع توفير بعض الوقت عليه إذا أثبت هنا نص خطاب قدمته ـ ضمن ما قدمت ـ للمدعي الاشتراكي أيام حولت للتحقيق السياسي أمامه في صيف سنة ١٩٧٨ . . بين ما يشجعني على ذلك هو أن العبارة المختلف عليها الآن، واردة في صلبه في سياقها الصحيح . كان نص هذا الخطاب الذي وقع عليه المدعي الاشتراكي بامضائه اثباتاً لاستلامه وضمه إلى ملفات التحقيق كما يلي بالحرف:

السيد الوزير أنور حبيب المدعي الاشتراكي . .

بناء على طلب هيئتكم الموقرة أتشرف بأن أرفق مع هذا الخطاب ملفاً يحوي نسخاً لبعض المقالات التي تناولت فيها موضوع الديمقراطية وما يتصل بها من قضايا . . وربما سمحت لنفسي أن أقول أن «الاهرام» على عهد رئاستي لتحريره كان واحداً من أصلب قلاع الدفاع عن الحرية، ولم يكن ذلك جهدي وحدي، ولكنه كان جهد آخرين شاركوا معي وتحملوا الكثير من الصعاب . . ولا بد لي أن أضيف ـ أمانة وصدقاً ـ أن الرئيس جمال عبد الناصر بحسه التاريخي المرهف لم يعترض حقنا جميعاً في تحمل مسئولية القلم رغم اننا خالفناه في عديد من الأمور . . وفي مجموعة المقالات المرفقة فانكم سوف تجدون «مواقف» ثابتة ومستمرة بقدر ما هي واضحة ومحددة ـ ومن ذلك مثلاً:

ـ انه لا سبيل للبناء ولا للتحرير غير الديمقراطية . والديمقراطية لا تتحقق إلا في مجتمع مفتوح . .

ـ ان الدولة الديمقراطية لا بد أن تكون بالضرورة دولة مؤسسات قادرة على الحركة الذاتية بارادة الجماهير وليس باشارة من أعلى . وأن سيادة القانون يجب أن تتأكد فوق مراكز القوى وأعلى من ارادات الافراد . .

ـ ان الانسان المصري يجب أن يتحرر من الخوف، ويجب أن يرفض منطق

العقوبات الشخصية، وأن لا تكون هناك عقوبة إلا بقانون، وانه لا بد من وضع نهاية لاجراءات الفصل والاعتقال والحراسة، وان كل مواطن لا بد له أن يجد غطاء يحمي رزقه في وقت سيطرة الملكية العامة.

- ان بعض المؤسسات لها أهمية خاصة وحساسة، ولا بد لها من ضمانات كاملة، وبين هذه المؤسسات الجامعات والقضاء والصحافة..

- ان المناقشة لا يمكن أن تزدهر في ظلال الخوف حتى ولو كان من الخوف نفسه، ولا بد لنا أن نرفض المشيئة المطلقة لأي فرد.. وحرية المناقشة لا تتأتى بالحديث عن مشاكل الاسكان والمواصلات وما إلى ذلك وإنما حرية المناقشة لا يمكن أن يكون لها محك إلا القدرة على مناقشة القرار السياسي، ومن الذي يحكم ولصالح من يحكم، وما هو اسلوب الحكم ودستوره وقانونه وضوابطه وضماناته إلى آخره وان المناقشة في السياسة هي صميم الديمقراطية، وأما المناقشة في المشاكل فهي مسألة فرعية..

- تفرقة بين الالزام والالتزام، وتحذير من مخاطر اخفاء الحقائق عن طريق إثارة الحماسة والانفعال وتحويل الشعارات إلى حبوب للبلع السريع، وأن حرية المناقشة ليست مجرد تنفيس وإنما هي قدرة على المشاركة في صنع القرار السياسي.

- نقد لتجربة الاتحاد الاشتراكي مع ايمان بصيغة التحالف والحاح على أن مهمة التنظيم الشعبي هي أن يستولى على السلطة بقوة الجماهير وعملها الديمقراطي وان الخطر يجيء حين تقع التنظيمات في الخلط، فإذا هي بدل أن تستولي بالجماهير على السلطة تستولي بالسلطة على الجماهير..

- وان الاتحاد الاشتراكي يحاول أن يكون حكومة فوق الحكومة أو حكومة إلى جانب الحكومة، وهذا يصنع ازدواجية في السلطة. وان الاتحاد الاشتراكي اغرق نفسه في متاهات فكرية تعبر عن اشخاص ولا تعبر عن فكر جماعي..

- وأن التنظيم السياسي يتعرض لمخاطر شديدة عندما يولد في أحضان سلطة الدولة ويتصور تلقائياً وفورياً أنه المعبر عن كل جماهير الشعب وبالتالي فهو قائدها بغير منازع، ومن هنا فهو يقع في خطأ لا يقل خطورة عن خطأ الحق الالهي عند الملوك..

- ادانة لعمليات الارهاب الفكري، وأن الذين يمارسونه ليسوا أصحاب عقائد مهما ادعوا، وان تاريخ مصر لم يبدأ بثورة ٢٣ يوليو، وأعظم قيمة في ثورة ٢٣ يوليو

انها حلقة في سلسلة ممتدة، وان الوطنية المصرية هي تاريخ هذا الشعب كله، ولا يحتاج فيها إلى معلمين جدد..

- ضرورة الانتقال من ديمقراطية بالموافقة إلى ديمقراطية بالمشاركة، ورفض أي منطق يعتبر أن خروج جماهير ٩ و ١٠ يونيو تفويض مطلق لجمال عبد الناصر وإنما هو تفويض للتغيير، ولم تخرج الجماهير لتقول له ابق وليبق كل شيء كما كان.. وإنما خرجت لتقول له أبداً في التغيير ونحن معك - ثم الحاح بعد ذلك بأن التغيير المنشود لم يقع في جوانب كان لا بد فيها من التغيير - ثم تحذير من خطر الاعتماد على الفرد ومن أن الخطر يجيء حين يصمت كثيرون عن الكلام في الوقت المناسب.

- تعقب دائم لنشأة مراكز القوى، وشرح لكيفية ظهورها، والظروف التي تسمح بذلك..

- تحذير متواصل من مخاطر طول البقاء في السلطة، وما يحدث من ترهل في المقاييس، وبالذات في مقاييس العفة السياسية والانفتاح على الجديد، ومخاطر الاستعاضة بالاوامر عن العمل السياسي، ومحظور القطيعة مع المثقفين، والدعوة إلى انشاء مجالس علمية متخصصة تساعد القرار وتساعد الحوار حوله..

تلك مجرد اشارات سريعة لما حوته هذه المجموعة من المقالات التي يضمها الملف المرفق والتي تتكون من أربعة عشر مقالاً..

بقي أن أضيف - للامانة والصدق أيضاً - ان نقد هذه التجاوزات وغيرها في التجربة المصرية كما حدث في الصدام الذي وقع بين «الاهرام» على عهد رئاستي لتحريره وبين جهاز المخابرات، وهو الصدام الذي انعكس فيما كتبت تحت شعار «زوار الفجر» أو في حادثة تعرض الدكتور عبد المنعم الشرقاوي أثناء اعتقاله لما لم يكن ينبغي أن يتعرض له، هذا إلى جانب ما كتبه زملاء لي في «الاهرام» أبرزهم الاستاذ توفيق الحكيم الذي نشرت له قصة «بنك القلق»، والاستاذ نجيب محفوظ الذي نشرت له العديد من اعماله التي تعرضت بالنقد الشديد لبعض تجاوزات التجربة - كل ذلك لا يستطيع أن يطغى على المنجزات العظيمة للتجربة الناصرية التي كانت وسوف تظل علامة ضخمة وبارزة في سجل حركة التحرر الوطني حتى انها لتعتبر ثورة العالم الثالث بمقدار ما أن الثورة الفرنسية كانت ثورة الغرب وبمقدار

ما أن الثورة الروسية كانت ثورة الشرق. . فضلاً عن أنه ليست هناك تجربة تحول عميق وواسع بعمق واتساع الثورة المصرية خلت من تجاوزات سلطة، ونماذج التاريخ البعيد والقريب شهود. . ذلك ان التحولات الكبرى خصوصاً في المجال الاجتماعي لا يمكن أن تخلو بالضرورة من عنف. . ومما يشرفني أنه مع رؤيتي للابعاد التاريخية الضخمة لحركة التحولات الاجتماعية ـ فإني كنت واحداً من الذين رفعوا صوتهم مبكراً بالتحذير من تجاوزات السلطة ولم ينتظروا الموت حتى يحرر السنتهم وأقلامهم. .

وتفضلوا بقبول صادق الشكر وموفور الاحترام

وبعد. . فلقد قلت ـ بعد صمت طويل في مصر ـ كلمة. . قلتها داعياً إلى الله أن تصل. .

قلتها، مستأذناً بعد قولها أن أعود إلى الحكمة المأثورة القديمة: «قل كلمتك وامشِ». . .

محمد حسنين هيكل

«افهم ما دار قبل الثورة وخلالها . .
أما الآن فلا أفهم الوضع القائم»

قد تتفق مع محمد حسنين هيكل أو تختلف معه وقد تؤيده أو تعارضه، ولكن أحداً لا يملك أن يتجاهله أو يستطيع هذا الترف . . إلا حكومة حزب الوسط وجرائدها .

وهيكل مقالاته وكتبه تنتشر بطول هذا العالم وعرضه، وتقرأ بأكبر قدر من الشغف والاهتمام . . وهي تدخل «خلسة» وبكثرة إلى بلده مصر ويسلك كثيرون طرقاً غير مألوفة في الحصول عليها! . .

وهذا وضع شاذ قررت «الأهالي» أن تخاطر بتصحيحه، ولهذا وجهت إليه الدعوة لكي يشارك في الحوار معنا وقبل «أن نتقاسم المخاطرة» أجاب :

● جريدة الأهالي - ١٢/ ٤/ ١٩٧٨

● **لماذا لا تكتب في مصر في ظل الحرية والديموقراطية وسيادة القانون؟**

■ لم يبلغني أحد رسمياً أنني ممنوع من الكتابة ولكن تركت لي حرية أن أفهم بما لا يقبل الشك أنني ممنوع من الكتابة.

وقد كانت لي دائماً ثلاث صفات أولها رئيس مجلس إدارة الأهرام، ويشهد مبنى الأهرام عليَّ وما أمكن انجازه بهذه الصفة، ثم رئيس تحرير جريدة الأهرام وتشهد عليه المكانة التي وصلت إليها الأهرام مصرياً وعربياً وعالمياً والصفة الثالثة كاتب مقال أسبوعي وأظن أن هذه الصفة التي وجه إليها قرار إبعادي عن الأهرام.

ولم يكن إبعادي عن الأهرام لأنني كنت كما يقول البعض ضمن مراكز القوى. فمواقف الكل معروفة والأسباب التي اختلفت من أجلها مسجلة على الورق ومراكز القوى خرجت سنة ١٩٧١ وبقيت أنا حتى بعد حرب اكتوبر وحتى سنة ١٩٧٤ ـ ثم أنه لا يتفق أن أكون من مراكز القوى ثم يعرض عليَّ في نفس يوم خروجي من الأهرام منصب مستشار رئيس الجمهورية ثم يعرض عليَّ بعد عام كامل من خروجي منصب نائب رئيس الوزراء للإعلام في وزارة السيد ممدوح سالم الأولى وفي كل عرض يكون موقفي موقف الشاكر المقدر. . . والمعتذر في نفس الوقت.

أقول ذلك لكي لا يختلف أحد في أن المشكلة كانت مقالات وليس أي شيء آخر.

وعلى أي حال فإن خروجي في الوقت الذي خرجت منه لم يكن شيئاً سيئاً وربما العكس وهذا أمر يطول شرحه. وقد عرضت عليَّ مناصب عديدة منها منصب نائب رئيس الوزراء؛ ولكنني اعتذرت وتمسكت بصفتي الصحفية

وتمسكت أيضاً بصفتي «المصرية» وبقيت هنا ولم أحترف أي عمل صحفي خارج مصر وأنا أكتب ولا أتنازل عن حقي في إبداء رأيي في القضايا القومية والدولية؛ وأنا أجد خارج مصر مجموعة من الصحف العربية تنشر ما أكتبه؛ وتعنى بها العناية الكافية؛ وهذه لا تصل إلى مصر لأنها تصارد بانتظام وهي قد تصل بطريقة أو أخرى ولكن ليس عن الطريق المشروع..

واعتماداً على المنع والمصادرة، توجه لي هنا وأنا في حالة الحصار؛ حملات محمومة يستباح فيها كل شيء ويعرف أصحابها مقدماً إنني لا أملك حق الرد ولا أستطيعه هنا؛ ولهذا أسكت وإن كان لا بد أن أعترف أنني لا أجد في هذه الحملات ما يحفزني على الإصرار على الرد..

● **أنت كاتب مخضرم، عشت ثلاث عصور مختلفة العصر الملكي والعصر الثوري والعصر الحالي.. وكنت شاهداً بارزاً عليها جميعاً فما هي الفروق؟**

■ في العصر الأول كانت القضايا واضحة تستطيع أن تحدد موقفك منها ولا بد أن تفعل كانت هناك قضية وطنية هي الاحتلال والاستعمار وما يتفرع عنه.. من قواعد وأحلاف. وهناك قضية اجتماعية هي الفقر والاستغلال والتخلف.. وهما يواجهانك في كل لحظة وفي كل ركن لا بد أن تحدد موقفك..

في العصر الأول كانت القضايا أيضاً واضحة.. كانت هناك إرادة تحقيق الاستقلال الوطني. وتأكيد الانتماء العربي.. ثم التغيير الاجتماعي في صالح الأغلبية.. ولا بد أن تتخذ موقفاً أما الآن فإنني بصراحة لا أفهم.. تختلط القضايا والحقائق بحيث لم أعد أفهم.

وأنا شخصياً عاجز حتى الآن عن تحديد الهوية الاجتماعية للوضع القائم كنت أستطيع أن أحدد الوضع القائم قبل الثورة والوضع القائم خلال الثورة. ولكني لا أستطيع أن أفهم الوضع القائم الآن.. ربما كان هذا اختراعاً جديداً لا أعرفه.

● **هل نستطيع القول بأن الحكم كان باسم الفقراء وأنه الآن باسم الأغنياء؟**

■ أي نظام هو التزام اجتماعي باسم طبقات معينة؛ ولم يغب عن عبد الناصر لحظة

واحدة سؤال كان يردده دائماً، من يمثل وباسم من يحكم.. وكانت إجابته تحدد كل شيء..

وهذا هو السؤال الأساسي لكل نظام.. من يمثل.. ولصالح من يحكم. وأنا شخصياً لا أستطيع تحديد هوية الوضع القائم.. وإن كنت أستطيع أن أجزم أن الطبقة السائدة في مصر اليوم لا علاقة لها بالانتاج. في انجلترا حزب العمال يمثل العاملين وحزب المحافظين يمثل الرأسماليين.. حزب العمال يعتمد على النقابات وهي عموده الفقري وحزب المحافظين يعتمد على أصحاب المصانع ورأس المال وأنا لا أستطيع أن أكتشف من يمثل حزب الوسط. وأي التزام وانتماء يلتزم به.. إلا إذا كان يعبر عن الطبقات التي ظهرت نتيجة للانفتاح.. وأنا لا أعتبر هؤلاء طبقات وإنما فئات وجماعات خارج عملية الإنتاج وهم لا ينتمون إلا لمصالحهم.. وكقوة ضاغطة على الاستهلاك.. وكثيرون منهم يجمعون ثرواتهم في مصر ليودعوا معظمها في الخارج.

● أنت الشاهد الأول ـ ككاتب ـ على عصر عبد الناصر.. فهل لك أن تحدد لنا، ما هو خط عبد الناصر وأفضل تعريف له.

■ هناك خطة جمال عبد الناصر وهناك التراجعات التكتيكية التي اضطر إليها في ظل ظروف دقيقة. ثم هناك التحول عن خط عبد الناصر وهذه ثلاث حقائق لا بد من الفصل بينها كان خط عبد الناصر واضحاً في الداخل وفي الخارج ومصرياً وعربياً ودولياً.. ثم اجتماعياً.. ويبدأ خط عبد الناصر بتحرير الإرادة المصرية تحريراً كاملاً. وتأكيد هذا الاستقلال التام.. وذلك ليس عن طريق الانطواء ولكن بالحركة الدائمة بمواجهة العالم وانتزاع دور مؤثر في أحداثه ومساره.. وأفضل ما يتحقق به هو الانضمام إلى كل قوى التحرر والاستقلال والعمل الجماعي معاً.. كان هناك إيمان بأن الثورة المصرية جزء لا يتجزأ من ثورة التحرر الوطنية في العالم وأن حركة هذه الثورة.. تكون أفضل ما تكون في إطار مجموعة متضامنة متكاملة هي مجموعة عدم الانحياز.. أو المجموعة الآسيوية الافريقية.

كان هناك وعي عميق بأن العالم يخوض معركة تقف منها قوى التحرر الجديدة ضد قوى الاستعمار والسيطرة القديمة. . وأنه لا بد من العمل معاً خلال تجمعات اقليمية أو فكرية أو دولية. . خلال الجامعة العربية أو الجبهة الآسيوية الافريقية أو الأمم المتحدة. .

وكان خطعبد الناصر. . يقوم على إيمان أن هناك حقيقة قد لا تكون قائمة الآن ولكنها كامنة لا بد أن تؤكد ذاتها، وهي الأمة العربية ولديها كل المقومات التاريخية والجغرافية والحضارية والاقتصادية بين مصالح ولغة ودين وتراث الخ. . كان هناك إيمان أن الدول والشعوب العربية. تشكل في حقيقتها أمة واحدة عليها أن تكافح في ظل كل الظروف وضد محيط من عقبات وتناقضات لكي تحقق وحدتها أن تتغلب على آثار التجزئة والتقسيم وأن تسعى سعياً مضطرداً نحو هذه الوحدة.

وفي الداخل. . كان خطعبد الناصر هو التغيرات الاجتماعية الجذرية والعميقة والتي تهدف إلى تذويب الفروق بين الطبقات وأن تعنى قوى مصر الحقيقية وشعبها العامل ومحفزة نحو تنمية شاملة وتتدارك بهذا التخلف وتلحق بحضارة العصر الحديث تبني زراعة وصناعة عصرية. . تكون أساس الكيان الاجتماعي. . الانساني. . كان خطعبد الناصر يقوم أولاً على تحديد أهدافه ومن ثم يحدد أعداءه وأصدقاءه كان الاستعمار العدو الأساسي وكانت اسرائيل والصهيونية. صورة وشكل فريد لهذا الاستعمار المعادي. .

وكان الاستغلال هو الامتداد الداخلي للاستعمار. .

هذا هو خطعبد الناصر في مجمله ونتيجة لكارثة سنة ٦٧ ـ اضطر هذا الخط إلى بعض التراجعات التكتيكية. .

حدث هذا في مواجهة الغزو الاستعماري؛ وفي مواجهة قوى عربية معينة وذات فطرة اجتماعية مخالفة كان لا بد لخطعبد الناصر من عقد هدنة. . بعد مؤتمر الخرطوم. .

وعدنا إلى ما كنا نسميه وحدة الصف العربي. . بعد ما كنا تجاوزنا هذه المرحلة إلى مرحلة وحدة الهدف العربي اقتضت مرحلة ما بعد سنة ١٩٦٧ بعض

وعجيب ولا ينظر له ـ أن تسخر صحف وأجهزة اعلام ودعاية دولة بكاملها للحملة على عبد الناصر وفي ظل نظام يقول ويعلن أنه استمرار لثورة يوليو. . !!

إنني أحد الذين ساهموا في صنع ١٤ مايو؛ ولكنني لا أعتقد أن ١٤ مايو ثورة وأعتقد أنها كانت حركة تصحيح ضرورية وقد كتبت وقلت أنه لا يمكن اعتبار أن إسقاط بيريا في الاتحاد السوفييتي ثورة جديدة ولا يمكن اعتبار أن إسقاط رانكوفيتش في يوغوسلافيا ثورة. هذه عمليات تصحيح مما تقوم به دول النظام الواحد. أن تسقط عناصر تجاوزت وأخطأت ولكن لا تعد هذه ثورة. .

و١٤ مايو هي استمرار لثورة ٢٣ يوليو وليست ثورة جديدة عليها ولهذا لا بد أن نسأل لماذا نلقي التهم ولماذا نجد هناك من يريد أن يهدم كل شيء.

ولنأخذ أيضاً موضوع الحراسات وكنت أنا أحد الذين وقفوا في موضوع الحراسات هذا وأستطيع أن أستشهد بمئات من الناس وعشرات من الحالات ومنهم فؤاد سراج الدين وغيره. كانت الغالبية العظمى من حالات الحراسة. . توقع على أجانب يهود أكثرهم في إسرائيل الآن. . وكلهم كانوا يهود بلا جنسيات. ايطاليين اسبان وفرنسيين وانجليز الأصل وفرضت عليهم الحراسة. . لأسباب سياسية وحقيقية. . وللأسف بعضهم يرجع الآن إلى مصر ويسترد مصالحه كاملة.

وقد طبقت الحراسة على بعض المصريين لأسباب اجتماعية وهذه مسألة يمكن أن يثور الجدل فيها. . وقد نتفق أو نختلف عليها. وحصل تجاوز في بعض الحالات وأثرت أنا هذا الأمر وبذلت ما استطعت. ولكنني هنا أيضاً أستطيع أن أؤكد أن ما حدث من تجاوز لم يكن يزيد عن نسبة ضئيلة جداً جداً.

وأنا أطالب بالتحقيق وأن يشمل كل حالات وقوائم الحراسة وأن تنشر نتيجة التحقيق كاملة.

ولعل أغرب ما في هذه الأحداث أن أكبر تجاوز قامت به أجهزة القمع كان ضد الشيوعيين، ومع هذا نسوا ما حدث؛ لأن القضية أصبحت أكبر بكثير من قضية فرد أو جماعة ولكن هذا البلد ومستقبله. .

ولنأخذ مسألة السيادة والاستقلال الوطني حتى هذه أيضاً: وهي كانت كل

رسالة حياة عبد الناصر وكفاحه، اتهم فيها، وأنه أقام ستاراً حديدياً على مصر؛ وأغلقها وحجبها عن العالم ثم سلمها للسوفييت لتصبح مستعمرة خالصة لهم. . أليس هذا أقصى ما يصل إليه العبث. .

كانت مصر تقيد السفر إلى الخارج ـ نعم. .

وكانت تبالغ أحياناً في تقييده نعم، ولكن هل يعني هذا أنها أسدلت ستاراً حديدياً على نفسها أو أنها قد بيعت إلى الاتحاد السوفيتي.

إنني أستطيع أن أدعي أن مصر لم تنفتح على العالم. . كل العالم. مثلما فعلت في عصر عبد الناصر. . ألم نرسل أفواجاً وأفواجاً من البعثات إلى كل بلاد العالم شرقاً وغرباً. . لكي نتفتح على أفضل ما لدى الاثنين. . وأنا أذكر ذات يوم أن مصر اختلفت مع الاتحاد السوفيتي سنة ١٩٥٨ حول الطريقة التي عاملوا بها بعثاتنا. . وفي اليوم التالي مباشرة كان ٢٥٠ من أعضاء البعثات التي تدرس في الاتحاد السوفيتي قد حولوا إلى الجامعات الأمريكية. . وكيف يمكن أن يكون هذا انغلاقاً أو سيطرة وراء ستار حديدي. .

وكيف يمكن أن يكون مصر قد تحولت إلى مستعمرة سوفيتية إذا كان ممكناً استدعاء السفير السوفيتي لنطلب منه أن يرحل كل مستشاريه وخبرائه، في ظرف عدة أيام. . وينفذ على الفور. . أي نوع من الاستعمار هذا. . إنني أذكر أن مصر هي التي كانت تلح وتلح حتى يبعثوا لنا بهؤلاء. وأنهم كانوا يترددون ألف مرة ومرة قبل أن يقرروا المجيء.

وأنهم كانوا يستعجلون دائماً أداء مهماتهم لكي يعودوا. . فكيف تسمى هذه سيطرة وتبعية. .

وإذا كان هناك ما حققه عبد الناصر فهو أنه قد أخرج مصر من العزلة ومن الحصار الذي فرضه عليها الاستعمار.

إن قضية الانفتاح تثار اليوم ويقال إنها ضد الانغلاق الذي ساد في عصر عبد الناصر. . وهذه ليست أكثر من نكتة. .

ولنأخذ أعظم رمز لعصر عبد الناصر أو واحد من أعظم الرموز وهو السد العالي

لقد اشتركت في إنجازه أحدث خبرة وتكنولوجيا في الشرق وفي الغرب أيضاً.. وهذه القاعدة الصناعية العريضة الممتدة بكل طول مصر وعرضها. اشتركت في إنجازها مؤسسات وشركات من كل أنحاء العالم.. من الشرق ومن الغرب صناعة الأدوية.. صناعة السيارات الكشف عن البترول.. صناعة الأسمدة.. اشتركت فيها شركات أمريكية وألمانية غربية وإيطالية وفرنسية وبريطانية.. وذلك في نفس الوقت الذي كانت تعمل فيه مؤسسات سوفيتية أو تشيكية أو هندية ويابانية.. كيف يسمى هذا انغلاق تفتح بسببه مصر لكل السماسرة والمغاربة. لأن الحملة ضد جمال عبد الناصر حملة متعمدة مقصودة هدفها الأول هو الشعب المصري أولاً وأخيراً.

ولا يدري ما يصدقه أو لا يصدقه.. وقد يرفض كل شيء ويسوده الاشمئزاز العام.. ويقف مهلهلاً بلا تاريخ ولا تراث ولا امجاد..

ونسأل ونلح في السؤال لمصلحة من يتم هذا..

● **هل الانحسار الحالي مؤقت أم خروج من التاريخ ومن خريطة العالم؟**

■ التاريخ بالنسبة لنا لا يقف ليس هناك نهاية لتاريخ شعب. خاصة شعب عريق مثلنا.. ربما يكون في حالة ركود أو في أزمة عصيبة ولكن لها أسبابها ولها علاجها.. وما نعانيه هو مجموعة فرص ضائعة وآمال خائبة كنا نحن سبب الضياع والخيبة.. ولكن عناصر الثورة لا زالت حية وقائمة في سنة ١٩٥٢ كان عدد العمال الصناعيين عندنا لا يتجاوز ١٢٠ ألف عامل أما الآن فهناك ثلاثة ملايين عامل على الأقل؛ وفي سنة ١٩٥٢ كان عندنا ٤٠ ألف طالب وطالبة في الجامعة ولكن لدينا الآن ٦٥٠ ألف شاب وفتاة في جامعات وكليات منتشرة في أرجاء مصر؛ وهناك نمو لا يقف في الوعي الوطني والاجتماعي وبين كل الطبقات والفئات الشعبية.

وحتى الرأسمالية الوطنية استيقظ وعيها وبدأ أصحاب المصالح والمصانع المصرية يدركون أن الانفتاح يجرفهم ويغرقهم.. هناك قوى تولد وتنمو كل يوم في مصر.. وهي لا بد تشق طريقها.. ونحن نعيش في عالم يتغير ويتطور كل يوم.. عصر التغيرات والتطورات المتلاحقة، ولو وقف التاريخ لحظة عندنا، فهو في

حركة مضطربة حولنا؛ ولا نستطيع أن نغلق دونه أبوابنا. . سوف ينفذ الينا ويشدنا ويؤثر فينا. .

● **ما هو الخلاف أو الاختلاف بينك وبين اليسار:**

■ الناصرية يسار وحركة مضطردة نحو اليسار. .

وحينما نتكلم عن خلافات اليسار فإنني أعتقد أننا نعني رواسب مراحل وتجارب ماضية. . اليسار في رأيي مبدأ من الوطنية ولم تعد هناك وطنية مجردة. . الوطنية الآن وخاصة في البلاد المتحررة لا بد وأن تكون ذات محتوى اجتماعي؛ الوطنية هي وطنية الأغلبية لهذا لا بد وأن تكون ديموقراطية لا بد وأن تكون ديموقراطية اجتماعية.

الوطنية والوطن لمن؟ للجماهير الشعبية العريضة؛ ولهذا فهي بالطبع تتجه إلى اليسار.

وحينما نتكلم عن اختلافات اليسار فإنما نتكلم عن رواسب باقية لم تذب لأنه لم يقم حوار كاف بين كل الأطراف وهذا كل ما في الأمر.

ولنتصور مثلاً ما هي الخلافات التي يمكن أن تكون بين الناصريين وبين اليسار التقليدي في مصر. . أنا لا أشك أنه لو جلس الطرفان وأزالا العقد القديمة وتخلصا من عدد من المصطلحات والقوالب اللفظية فسوف يجدان كل الخلافات ليست أكثر من رواسب ربما يبقى هناك خلاف حول قضية المنهج والدين. وقضايا مثل ديكتاتورية البروليتاريا ولكن حتى هذه تطورت وتغيرت. .

إن اليسار التقليدي في تغير وتطور مستمر ولم يعد هو اليسار ذو الاتجاه الواحد والتنظيم الشامل الصارم وأصبح هناك يسار صيني ويسار يوغسلافي وهناك يسار جورج مارشيه في فرنسا ويسار فرانسوا ميتران، وبرنامج اليسار الموحد وهناك يسار برلينجوير في إيطاليا. . واليسار الاشتراكي وحتى اليسار الديموقراطي المسيحي.

وحينما كنت أراجع برنامج اليسار الموحد في فرنسا وجدت أشياء كثيرة أخذنا بها وطبقناها في التجربة الناصرية قبلهم. . مثل المشاركة العمالية في الادارة والأرباح.

وقد أسهمت تجربة عبد الناصر وأضافت إضافة فكرية وتطبيقية أصيلة ربما لم تصل إلى حد النظرية الكاملة ولكنها أضافت للفكر والتطبيق اليساري إضافة تاريخية. وكل التجاوزات لا تقلل في شيء من قيمة الاسهام..

المسألة الأساسية الآن هي من نحن؟ وماذا نريد؟ وأين مصلحة مصر؟

في الوقت الذي كنا نفكر فيه في المصور في اجراء حوار شامل مع محمد حسنين هيكل، كان اختيار الرجل واضحاً، أن يكون لقاؤه الأول. مع القارىء المصري.. بعد غيبة تصل إلى ثماني سنوات على صفحات المصور أيضاً. فرغم أنه رفض الادلاء بأحاديث صحفية. ولزم الصمت التام إزاء الصحافة المصرية. إلا أنه جاء بنفسه إلى قاعة الاجتماعات الكبرى في دار الهلال. وعلى مدى ٤ ساعات متواصلة. من ليلة شتوية. نزلت فيها الأمطار لأول مرة هذا العام. بددت حرارة حديثه برد هذه الليلة وأحال الحوار الساخن الصقيع إلى توهج وحضور نادر.

كان من المفروض أن يحضر اللقاء عدد محدود من محرري المصور. ولكن عدداً ضخماً من شباب الصحفيين الذين يعملون تحت التمرين في المصور. ومن المحررين في مجلات أخرى. بل والعاملين أصروا على أن يحضروا هذا اللقاء الفريد.

وقد رحب هيكل بحضور الكل..

ورغم أن إجراء حوار مع صحفي كبير مثل محمد حسنين هيكل. يبدو مسألة صعبة. ورغم سيل الأسئلة المقدمة. والتي تعدت الخمسين سؤالاً. إلا أنه رد على كل التساؤلات.

وكانت نتائج الحوار مفاجأة حتى لمن شاركوا فيه. فهي المرة الأولى ـ ربما ـ التي يتكلم فيها هيكل. في السنوات الثماني الماضية. بكل هذا القدر من الليبرالية. والرغبة في الالتقاء. في منتصف الطريق. مع وجهة النظر الأخرى.

ومن المؤكد. فإنه مهما كانت درجة الخلاف. فإن كافة الأطراف المختلفة يمكنها أن تجد مساحة من الاتفاق تقف عليها في مواجهة هذه الخلافات لو أرادت ذلك. ولقد كان محمد حسنين هيكل واضحاً ومحدداً في ذلك عندما قال بصورة قاطعة: إن الوضع الراهن في مصر يتطلب من كل مصري، أن يحدد موقفه وبوضوح تام.

الرجل خارج من السجن. ٩٦ ساعة فقط تفصله عن ٩٠ يوماً قضاها هناك ومع هذا، فقد عبر تراكمات المرارة في نفسه. وارتفع فوق كل الجزئيات.. ووصل إلى الموقف الذي يقول فيه: مصر أولاً. ومصر قبل كل شيء آخر.. ومن أجل هذا الموقف كان هذا الحوار، الذي لولا الصفحة الجديدة في عمر مصر. لكان حواراً مستحيلاً.

● رئيس تحرير المصور: يشرفني أني أقول أنه عندما دخلت إلى الأهرام محرراً للحوادث كان الأستاذ محمد حسنين هيكل رئيساً لتحرير الأهرام فقد عملت معه ٢٤ عاماً وأعتقد أنني من الذين أتيحت لهم فرصة معرفته عن قرب، لقد تعلمنا منه الكثير وعندما جاء الأستاذ هيكل إلى الأهرام استطاع بالفعل أن ينشىء مدرسة صحفية جديدة في مصر والمدرسة كانت تجمع بين الرصانة والالتزام وفي نفس الوقت الجدة والحداثة.

في هذه القاعة حضر للحوار معنا المهندس ابراهيم شكري رئيس حزب العمل كما شهدت حواراً ثانياً مع قيادات حزب التجمع والمصور سعيد بأن يأخذ هذا الدور واليوم يحضر لنا الأستاذ محمد حسنين هيكل بحوار مفتوح من جانبه لا قيد فيه على أي سؤال وهو على استعدادا للإجابة عن كافة الأسئلة.

ومن جانبنا سنكون ملتزمين بأمانة النشر ونرجو أن يكون الحوار مثمراً ونشكر للأستاذ هيكل استجابته.

■ الأستاذ هيكل: أنا مش حعرف أرد على الأستاذ مكرم أنا بقى لي قبل كده ٩٠ يوم في الزنزانة، أخشى أن أكون قد فقدت عادة الحوار مع الناس المتحضرين. كان قدامي ناس طيبون، لطاف، ظراف، لكن مكانوش بيتكلموا في الثقافة والسياسة من أول الشاويش عبد التواب للشاويش عبد الجبار لكن في التسعين يوم فقدت عادة الاتصال وفقدت عادة القراءة، لكن أنا بالفعل باعتبر أن مجيئي هنا ويمكن بشكل ما أن يكون كلمة ضرورية لي في الصحافة المصرية وبعدها أنا لست طرفاً في لعبة الصحافة المصرية وأنا جيت هنا سعيداً جداً بدار الهلال وفيها مكرم

محمد أحمد وفيها هذه المجموعة من الشباب وجاي أقول كلمة وبعدها لست طرفاً في لعبة الصحافة المصرية وتحت أمركم.

● **المصور: قلت بعد الافراج عنك أنك ستؤيد الرئيس مبارك بكل قواك. أين الجانب الموضوعي في هذا الموقف وأين الجانب الشخصي وكيف سيكون تأييدك للرئيس مبارك.. كيف ستمارس هذا التأييد؟**

■ الأستاذ هيكل: نبتدي بالجانب الشخصي والجانب الموضوعي لازم نشوف الصورة السياسية قبل مجيء الرئيس حسني مبارك كان شكلها ايه.. أنا بادعي أن احنا في هذا الخريف ـ وده عنوان مجموعة من المقالات أحاول أكتبها دلوقتي أنا أقدر أسمي الخريف اللي فات أنه كان «خريف الغضب في مصر» لو بصينا للخريطة السياسية والاجتماعية في مصر نلاقي ان كان فيه أربعة أطراف: كان فيه نظام بدا أنه يتصرف بغضب وكان فيه جماعات اسلامية بدا انها تتصرف بغضب وعنف، وكان فيه إحساس أو شعور قبطي بدا انه يتصرف أيضاً بغضب وكان فيه رأي عام بشكل ما أو بسبب المشاكل الاجتماعية والاقتصادية بدا أيضاً أنه غير مستريح وبالتالي دخلنا هذا الخريف فعلاً خريف غضب، وبالفعل كل التيارات تجمعت وإذا بنا أمام انفجار وأمام عاصفة ولحظة البرق الصاعق جاءت على المنصة في يوم ٦ أكتوبر البلد كان فيها ما بدا أنه موجات غضب وقلق ثم تصادمت هذه الموجات، ماذا فعلت؟ أولاً كشفت القشرة اللي كانت موجودة على السطح وعرت مشاكلنا الحقيقية، طرحتها في الساحة وبدا أن هناك مشكلة عنف وبدا أن هناك مشكلة طائفية وبدا أن هذه المشكلة الطائفية أو مشكلة الارهاب هي في الواقع وجه آخر لمشكلة أكبر وأعوص وهي الوضع الاقتصادي والاجتماعي في البلد وبدا أيضاً أن فيه أزمة معارضة وأزمة ديمقراطية.

تكشفت أشياء كثيرة في ضوء اللحظة الصاعقة اللي كلكم شفتوها.. أنا مشفتهاش لكن على المنصة ظهرت صورة للحقيقة في مصر.. محدش في الدنيا يقول إن الارهاب ظاهرة منعزلة أنا لا أتصور هذا.. الارهاب يحدث باستمرار ـ مع الأسف الشديد ـ عندما يتهيأ مناخ العنف.. لما تلاقى مثلاً عشرين واحد

مشتركين في عملية الاغتيال ولما تلاقى فيه جماعات تسلح نفسها إلى هذه الدرجة. . حدث هذا في إطار أطلق عليه اسم الفتنة الطائفية ولكن الواقع كان أشد خطراً من ذلك، والحقائق قد أكدت أن الوضع في مصر ليس كما كان يبدو لنا أو على الأقل كما يبدو على الواجهة.

عندما يجيء رجل جديد لتحمل المسئولية، دفعته الظروف للمسئولية ويقول فلنفتح صفحة جديدة من تاريخ مصر وعندما يقول لكل القوى فلنتعاون من جديد وعندما يقول لكل القوى أنه على استعداد لقبول المشاركة والرأي الآخر ـ في تقديري أنا ـ كيف يستطيع أي مواطن مصري يحترم نفسه ويحرص على بلده أن يحجب عنه هذه الفرصة أو يحجب عنه هذه الثقة أو يحجب عنه هذا التعاون.

تسألون عن الجزء الذاتي والجزء الموضوعي في موقفي من الرئيس الجديد أنا أقول أنني سوف أعزل نفسي ذاتياً تماماً عن هذا الموضوع الذي كان موضوع مناقشة في السجن. تقدر تتصور أن في ـ أول أسبوع ـ لم يسمح لنا بالخروج من الزنزانة. معلش أنا حطول لكن يمكن أنا بغطي بهذه الإجابة أسئلة كثيرة قوي. . أول يومين رحنا حاجة اسمها سجن الاستقبال وأنا في سجن الاستقبال لقيت نفسي مع بعض الجماعات الدينية جنب ناس تانيين مش في الجماعات الدينية قلت على طول أشتغل صحفي وأعمل رحلة في عقل هؤلاء الشباب وبالفعل بدأت مع شاب منهم بالنسبة لي أنا كان مثير جداً وقعدت معاه ٣ أيام في حوار متصل، من زنزانة إلى أخرى إلى ثالثة وكان ماشي الحديث وفي الحقيقة أنا كنت بحاول أتابع وبحاول أدرس. وعلى الفور أدركت أن ده جزء من عملية كبيرة. جت لنا الفرصة دي في سجن الاستقبال بعدها رحنا حاجة اسمها ملحق مزرعة طره، في الأول قعدنا أسبوع لانخرج من الزنزانات بعدها سمح لنا بربع ساعة كل يوم الصبح على دفعتين وبعدين سمح لنا بربع ساعة الصبح وبعد الظهر حوالي شهر وبعدين بقينا نطلع ساعة الصبح وساعة بعد الظهر وفي الشهر الأخير الأمور بدأت تتغير تماماً، السجن تحول إلى مناقشات وبقينا نتناقش مع كل التيارات. لمعلوماتك قد تدهش أنني قلت داخل سجن الاستقبال، قلت لمدير السجن وقلت لمندوب الأمن القومي وقلت لمندوب المباحث العامة أن أنا مش متحمس أبداً للطريقة اللي بتواجهوا بيها

هذه الجماعات وأنا أخشى من الارهاب الفردي من فكرة الاغتيال. طلعت خارج طريقي وخارج حدودي كمسجون وقلت أنا أخشى أن تكون المشكلة أكبر من هذه الرؤية وأنا أخشى الارهاب الفردي. بعد كده، تسألني عن موقفي من الرئيس حسني مبارك. أنا استغربت جداً لما شفته بعد خروجنا من قصر العروبة وهو بيقول لنا أنه بعد الاغتيال بـ ٣ ساعات كان يحس داخله بالرثاء للرجل الذي سوف يحمل المسئولية بعد أنور السادات دون أن يدرك لمدة ٣ ساعات أنه هو هذا الرجل.

وعندما تبين له ذلك لم يكن راغباً في المنصب وأنا أصدقه في كل ما قاله.

نحن إذن أمام رجل جاء في ظروف صعبة دون أن يكون راغباً في ذلك ثم هو يعلن بعد مجيئه أنه يريد صفحة جديدة. هل تتصور أن أي وطني يمكن أن يحجب عنه ما طلب. بقول لك في السجن سألني زملائي عن رأيي بعد خطابه الأول وبعد خطابه الثاني وقلت هذا الرجل يريد أن يعطي نفسه بداية جديدة وواضح في كل كلامه أنه رجل رأى الحقيقة بنفسه وقلت لهم هذا رجل أعيدت ولادته مرتين من خلال عاصفتين من الدم والنار مرة في درامـا حرب أكتوبر والمرة الثانية في المأساة الاغريقية اللي وقعت على المنصة يوم ٦ أكتوبر، فأنا كنت شايف ظروفه أنه رجل عاوز يدي نفسه بداية جديدة لأن كل القوى في عواصف الغضب التي بدأت في الخريف كانت تبدو وكأنها على مفترق طرق متباعدة.

عندما خرجنا وسمعناه في قصر العروبة أنا حسيت أنه بيتكلم بطريقة مباشرة كلام صريح وواقعي.

لا بد أن الرئيس مبارك لديه قدر هائل من الشجاعة الأدبية ومن القدرة على الادراك الشامل عندما استقبلنا في قصر العروبة.. برغم أن هناك من صوروا مواقفنا على أننا خصوم للنظام، أستطيع حقيقة أن أقول أن عدداً كبيراً من هؤلاء كانوا محاورين للنظام أقدر أقول عدد كبير ويمكن ناس منهم غير مستعدين لصدام. يعني فؤاد سراج الدين لو أرسلوا إليه من يطلب منه أن يجلس في بيته ويوقف أي نشاط له ولو مرحلياً لقبل عن طيب خاطر وعبد الفتاح حسن كذلك نموذج واضح للإنسان الرصين والعاقل.. أنا لاحظت أن فيه بعض اخواننا زعلوا

قوي لما كان فيه تصريح للرئيس حسني مبارك بيقول فيه البريء حيطلع وهم كانوا بيقولوا العكس، صحيح لا ينبغي أن نبقى تحت التحفظ حتى تثبت براءتنا وأنا كنت بقول لاحظوا أن قرارات التحفظ كانت قبل توليه سلطة المسئولية، ونحن الآن نمثل إحدى المهام المعلقة في جدول أعماله خصوصاً وأن الواقع السياسي له أحكامه.. وعندما تكلم في خطابه الثاني في افتتاح الدورة البرلمانية كان بالغ الأهمية وكانت في الخطاب ايماءات اجتماعية واضحة وأنا واحد من الناس اللي بيعتقدوا أن مشكلة مصر بالدرجة الأولى اقتصادية اجتماعية.

● **المصور: هذا عن الظروف الموضوعية ماذا عن الجانب الذاتي؟**

■ هيكل: أستطيع أن أقول: أن ما فعله حسني مبارك معنا، لم يحدث من قبل. أنا أخذت من بيتي الساعة ٢,١٥ صباحاً... وجه رئيس القوة وكان راجل لطيف وأنا قلت له الساعة كام.. الساعة ٢,١٥ قلت له ده أنا اللي كاتب تعبير زوار الفجر أنا كنت وحدي في اسكندرية وكان معايا ابني الثاني أحمد وهو اللي جه صحاني في الساعة ٢,١٥ وقالي فيه بره على الباب ضباط من مباحث أمن اسكندرية قالوا عاوزينك.

عندما فتحت الباب طلبت منهم عشر دقائق أجهز نفسي وآخد شنطة.. ثم ييجي يفرج عنك في القصر الجمهوري وتبص تلاقي نفسك بتقابل رئيس الجمهورية.

أنا سألت واحد من الياوران هناك وبعدين حنعمل أيه بعد كده قال خلاص روح بيتك، طيب أروح ازاي لأننا جئنا بسيارات البوليس.. فتحي رضوان قال خلاص سأذهب إلى منزلي سيراً على الأقدام.

احنا قلنا عربية البوليس توصلنا ونرجع تاني قصر العيني ناخذ حاجتنا، وننزل، فؤاد سراج الدين كان مش مستعجل على الخروج قال حيروح قصر العيني يتغدى وينام ويروح الساعة ٥.. قلت له يا أخي سوف أذهب على الفور إلى بيتي.. أنا مش عاوز أثبت حاجة أبداً. عبد الفتاح حسن لقى عربية البوكس بتاعة البوليس متعطلة وبعد شوية قلنا له الباب حيتسمكر... قال يتسمكر ازاي وخد بعضه وراح

يدور على تاكسي لكن فعلاً كان منظر فيه جزء مضحك لأنه نروح في القصر الجمهوري ونقول للبوليس وصلونا أقرب مكان. قول لي أين يحدث هذا لو قارنت بين ظروف القبض وظروف الافراج؟!

معرفش اذا كنت تعرف والا لأ احنا ماكناش بنشوف تليفزيون ولا بنسمع راديو ولا بنقرأ جرايد وإنا يوم ما عرفنا أن الرئيس السادات حدث له ما حدث، سألنا إذا كان ممكن نسمع راديو وقلنا أن الأمر كله يتعلق ببلدنا ما كانش ممكن. وأنا رحت لضابط من ضباط السجن وكان رجل ظريف وقلت له عاوز تجاوبني على سؤال واحد... انت اتفرجت على التليفزيون قال آه قلت له جاوبني على سؤال واحد قل لي الرئيس حسني لابس ايه في الجنازة، دهش الرجل لسؤالي.. قلت له معلش ده يعني بالنسبة لي الكثير وأنا كنت عاوز أطمئن ولما جه قال ده لابس بدلة كحلي وكرافتة سودة رحت لزملائي في السجن قلت لهم أنا متفائل قالوا لي ليه قلت لهم الرئيس ظهر في الجنازة ببدلة كحلى وكرافت سوداء، قالوا لي طيب يعني ايه ده قلت لهم يعني أننا أمام رجل لا يريد أن يتظاهر بشيء. أنا كنت خايف أنه يلبس التشريفة العسكرية المشهورة..

سألني مراسل الجارديان مش ذهابكم للقصر الجمهوري بهذا الشكل فيه عنصر مسرحي قلت ما اتصورش لسبب واحد أنا باعتقد أنه فيه أكثر من ذلك ـ فيه فوق صدق النوايا ذكاء سياسي لأن الرئيس السادات حاول ابعادنا أو إبعاد بعضنا ومعرفش ليه بالقوة لكن ده نزع سلاحنا جميعاً باللطف والحوار واقدامه على فتح صفحة بيضاء.. هل تعرف ماذا يعني هذا اللقاء في قصر العروبة بالنسبة لي؟ لقد أغلقت صفحة الماضي ولن أتحدث عن ما حدث في تجربة ٩٠ يوماً في السجن ولكنني أسأل نفسي هل كان في وسعي أن أكتم تجربتي لو لم يكن قد قابلني؟ وقال علينا جميعاً أن نطوي صفحة لنبدأ صفحة أخرى إذن فهذا على ما فيه من شجاعة أدبية فيه أيضاً ذكاء سياسي.

● **المصور: ما هي حقيقة خلافاتك مع حزب التجمع داخل السجن؟**

■ **هيكل: لقد ناقشت بعض اخواننا في حزب التجمع والواقع أنه كان ـ واراً أكثر**

منه أي شيء آخر وأنا باحترم كثيرين منهم وأنا كان رأيي أن التجمع أخذ موقف اختلف معه بإعلانه عدم تأييده للرئيس مبارك ومهما كانت تحفظاتهم ومهما كانت تحفظات غيرهم لم يكن أمام مصر خيار غير أن تقول نعم لحسني مبارك وكان ينبغي أن تقول له نعم. . كان في وسعهم أن يقولوا بعض التحفظات ولكن أي خيار آخر لمصر إذا لم تكن قد اجمعت على حسني مبارك. . أنا باعتقد أن التجمع ربما يكون أخطأ في هذا أو على الأقل من وجهة نظري وكان لا بد أن يقول نعم وأن تكون نعم مشروطة إذا أراد.

● **المصور: هل أثيرت قضية تأييدكم للرئيس مبارك داخل السجن؟**

■ الأستاذ هيكل: عشان أبقى رجل أمين أثيرت طبعاً. تقدر تتصور أنه في داخل السجن طلب إلينا أن نتوجه بالرجاء إلى الرئيس السادات قبل الحادث ولم يقبل منا أحد. . . وعندما جاء الرئيس مبارك أنا باتصور أن بعض الناس تطوعوا بالنصيحة على أساس أن هذه فرصة نستطيع خلالها شرح موقفنا وقد يساعد هذا على الافراج إذا بدت حسن النوايا. من جانبنا وكان رأيي ورأي عدد كبير من اخواننا إن احنا مع إحساسنا بالظرف الخطر اللي فيه البلد ومع تقديرنا لكلام الرئيس في أول خطبة إلا أن رأي أي واحد منا وهو داخل القضبان هو رأي مشبوه من جانبنا لأنه قد يبدو دليلاً على الضعف أو دليل اكراه، ولم يكن هناك اكراه أن نصدر بياناً بالتأييد. . معرفش أنا يمكن تطرقت بره الموضوع كثير قوي لكن يمكن أكون أجبت على أسئلة كثيرة.

● **المصور: كيف يمكن إقامة علاقات مصرية عربية على أسس أكثر نضجاً وأكثر صحة؟**

■ هيكل: أعتقد أن الرئيس مبارك بدأ بداية صحيحة، ومن حقه على العالم العربي كما أنه من حق مصر أن تجرب الرهان إلى مداه. . ان من حق مبارك أن يقول له العالم العربي الآن: سيدي تفضل أكمل المشوار وأكمل الرهان إلى مداه لأنه من غير المعقول أن يطالب أحد بالغاء المعاهدة قبل ٦ أشهر من الانسحاب، لا بد لكل الأصوات أن تسكت، ومهما كان خلافنا حول المبادرة فإن أحداً لا يستطيع أن يطلب من الرئيس مبارك شيئاً لأن مصر قد دفعت ثمناً غالياً لهذا الطريق.

● **المصور: ما حدث أخيراً في فاس يؤكد صحة النظرة المصرية من أن العالم العربي غير قادر حتى الآن على أن يحسم قضية الحرب أو قضية السلام، لا هو قادر على الحرب ومستعد لها ولا هو قادر على السلام.**

■ هيكل: هذا تكريم لمصر أمام العالم العربي الذي علمته وصاغت له رؤاه فالعالم العربي تعود أن يعيش بك وأن يكون قراره معك.. وتعود أن تكون حاميه.. هذا قبل الجامعة العربية.. وتعود بعد ذلك أن يراك على رأس الجامعة العربية وتعود على أن يكون القرار قرارك.. وتعود أن يعتمد عليك في كل شيء في الدفاع والاقتصاد والتعليم وفي الصحافة وفي الثقافة!

هذا العالم العربي تعود أن يراك دائماً على رأسه.. ويتصرف بك.. وإذا بالرأس بعيد وجسم يتحرك وحده..

علينا أن ندرك أهمية مصر في العالم العربي وبالعالم العربي أيضاً.

● **المصور. ماذا حدث عندما علمت باغتيال الرئيس السادات؟**

■ هيكل: سالت الدموع في عيني وشاهدي على ذلك مأمور سجن طره العقيد «محمود الغنام» وضابط المباحث العقيد «صلاح شلبي». لقد أبلغاني نبأ اغتيال السادات بقصد معرفة رد الفعل.. قلت لهما: كيف تم ذلك؟ قالا: هذا كان في العرض العسكري.. وفي هذه اللحظة لم استطع أن أذكر إلا أنه كان صديقاً.

لقد كان صديقاً لي منذ فترة طويلة وإذا بالدموع في عيني..

لقد عشت معه عشرين عاماً كأصدقاء وابني حسن أصغر أبنائي.. أنا أعرف كيف كان ضعف أنور السادات تجاهه.. كنا نتبادل الزيارات، أولاده كلهم يقولون لي: يا عمي.

«نهى» زوجة حسن ابن المهندس سيد مرعي أنا الذي قمت بخطبتها عندما طلب مني سيد مرعي ذلك قلت لحرم الرئيس إن سيد يريد نهى لابنه.. وقالت لي: كلم الرئيس في هذه الخطبة.

ورغم كل الخلافات التي كانت بيننا «نهى» عندما رأتني في الصيف الماضي أخذت تقبلني أمام الناس لأنني أعتبرها بنتي..

● **المصور: هل تعتقد أن الخلاف على كامب دافيد هو القضية الملحة الآن أمام بعض من فصائل المعارضة أو أمام بعض من الدول العربية؟**

■ هيكل: هناك قوى تقول لا لكامب دافيد والنظام يقول نعم وجميع المسائل متداخلة.. ولكن هناك قضية تكاد تكون مبدئية للأسف الشديد إن علينا من جديد أن نعيد بحث عدد من القضايا الأساسية:

ـ من نحن وماذا نريد وكيف نحقق ما نريد. حكاية كامب دافيد ثانوية، القضية الأشمل هي أمن مصر وماذا تريد وما هي هويتها، نحن دولة تقع جغرافياً في افريقيا ولكنها ترتبط في أمنها بمحورين أساسيين، محور جنوبي هو وادي النيل، ماء الحياة بالنسبة لنا وهو محور آمن لا ينبغي أن نسمح بأي تنشيط عليه ولا ينبغي أن نقبل أي تهديد فيه لأن به يتعلق ماء النيل.

والمحور الشرقي أو الجسر البري الذي يربط مصر بآسيا وهي القضية الحيوية في الأمن المصري من تحتمس الثالث حتى جمال عبد الناصر.

وبهذا المحور يتعلق أمن مصر وأمن عالمها العربي ونحن والعالم العربي شركاء في المسئولية.. وإن مصر لم تمد يدها لأحد وعلى العالم العربي أن يحمي نفسه وهو لا يستطيع ذلك بعيداً عن مسئولية مصر ودورها القيادي، قضية مصر هي قضية الكل.. مصر بالانتماء العضوي ومصر بالتاريخ وبالجغرافيا.. عربية الانتماء وإذا كان أمنها هو أمن العالم العربي، فإن رخاءها ينبغي أن يكون من رخاء العالم العربي.

عندما كنت أتحدث مرة مع كيسنجر، قال لي كلمني عن مصر قلت له إذا تحدثت معك عن مصر وحدها.. فمصر تحتاج إلى أمريكا ـ وإذا كلمتك عن مصر العربية مصر تحتاج إليها أمريكا..

لمصر دور لا ينبغي أن تفرط فيه ومصر هي التي علمت الدول العربية ونحن

الطرف الأقوى وإذا كنا شركاء في الأمن العربي فلا بد أن نكون شركاء في التنمية الشاملة.

● **المصور: المشكلة أن عديداً من هذه الدول لم تفطن لأهمية التنمية داخلها، فكيف تساعدني على التنمية.**

■ هيكل: أستطيع أن أزعم أن أيّاً من الدول العربية لا تقدر أن تنمي نفسها بنفسها وبمعزل عن مصر..

علشان ننمي لا بد أن يكون لديك بشر... الكل يتصور أن الدول العربية غنية بالبترول ولك أن تتصور أن جميع دخل الدول العربية من البترول يكاد يساوي دخل إيطاليا. ومع ذلك فالتنمية في العالم العربي مرهونة بمصر.

● **المصور: سوف نعود مرة أخرى إلى تلك الحزازات القديمة حول الزعامة؟**

■ هيكل: ليس هناك أحد في العالم العربي على أي مستوى لا يقبل زعامة مصر.. هناك شيء واحد: الزعامة تكون بمقدار ما تستطيع أن تعبر عن آمال الجميع..

الزعامة دور يعطى ويمارس إذا ما نهضت بمسئولياتي ولم أتخل عنها.

لا نريد أن نكرر في مصر ما حدث لتركيا عندما أدارت ظهرها للعالم الاسلامي فقدت الخلافة والدور والهوية وأصبحت ذيلاً لأوروبا الآن ماذا يحدث في تركيا.

لقد كان لمصر دوران أساسيان في العالم العربي دور التحديث ودور التوحيد وعندما توقفت مصر عن مسئولياتها، ماذا حدث، هذا الذي نراه الآن في العالم العربي، نزوع إلى الكيانات الاقليمية الصغيرة المتناقضة.

إنني أستطيع أن أزعم أيضاً أن العالم العربي قد قدم لمصر الكثير.

لقد أعطى العالم العربي لمصر ما بين ١٢، ١٦ بليون دولار دون شرط أو قيد يجب أن نضع الأرقام أمامنا.. حتى نحدد رؤيتنا الاستراتيجية على ضوء الحقائق.

كيف نحل مشكلة مصر. . كيف نصنع؟! كيف ننمي؟. . في الزراعة لدينا ٦ ملايين فدان وحدود التوسع الزراعي وهدفه وحجم المياه المحدودة حتى لو أحدثنا انقلاباً شاملاً في أساليب الري المصري.

لا حل إلا التنمية الشاملة في العالم العربي.

● **المصور: المشكلة هي في التفاوت الحضاري بين الدول العربية والذي يزيد حتى من صعوبة الحوار ناهيك بالاتفاق على خطط التنمية الشاملة؟**

■ هيكل: أعرف أن هناك دولاً عربية لم تتعد بعد نطاق الشرعية التقليدية القائمة على النظام القبلي أو الأسري أو شبه الديني ومصر أكثر الدول العربية تقدماً في مرحلة الانتقال إلى الشرعية الدستورية.

ولكن لدينا مشكلة اجتماعية اقتصادية مهمة ولا نستطيع بدون حلها أن نصل إلى مرحلة الديمقراطية أو إلى مرحلة الشرعية الدستورية. . وليس هناك حل غير التنمية الشاملة في العالم العربي، وإذا كانت مصر تعترضها مشكلات الكثافة السكانية التي تفرض عليها التنمية طريقاً وحيداً إلى حل مشكلاتها الاجتماعية فإن دول العرب البترولية تعترضها هي الأخرى مشكلة نضوب مواردها البترولية مع الزمن والتي تفرض عليها ضرورة التنمية، اعتماداً على مصادر غير البترول ولا تستطيع الدول العربية البترولية أن تفعل ذلك دون مصر.

● **المصور: لماذا وصلت علاقاتك مع الرئيس السادات الى هذا الدرب المغلق بالرغم من صداقتكما التي استمرت ٢٠ عاماً ربما لأنك خلطت بين دورك الصحفي ودورك السياسي. هناك أيضاً من يقولون أنك احتكرت لنفسك أن تصبح الصحفي الأوحد في مصر خلال فترة الرئيس عبد الناصر.**

■ هيكل: أنا حتى هذه اللحظة لا أعرف لماذا ضاق بي الرئيس السادات إلى هذا الحد أنا بقول لك بصحيح وهذا سر ما زلت أحاول تقصيه ويمكن أكبر فشل صحفي في حياتي هو عدم معرفتي لهذا السر أنا يعني باعتبر نفسي صحفي مش بطال ولكن باعتبر نفسي صحفي مخبر صحفي قبل أي شيء آخر لكن هذه القصة لم

أستطع استجلاء غوامضها حتى هذه اللحظة يعني أنا باتصور لعبت دوراً مهماً في انتقال سهل جداً للسلطة سنة ٧٠ وبادعي أنه استجيب لكامل اقتراحاتي ـ لأنه مكانش فيه غيرها ـ ولأني قلتها وأنا متجرد من كل الأطراف اللي كانوا موجودين في بيت الرئيس عبد الناصر ليلة رحيله. لما نزلت تحت في الصالون نصف ساعة بعد اللحظة الحزينة الرئيس السادات سألني رأيك ايه يا محمد وأنا كنت أول المتكلمين قلت نلتزم بقاعدتين، القاعدة الأولى أن نحتكم للدستور ولا شيء غير الدستور والدستور واضح بيقول ايه. والقاعدة الثانية لكيلا تكون هناك مساومات لا نتكلم في موضوعين في نفس الوقت إذا كنا حنتكلم في رئاسة الجمهورية يبقى محدش يتكلم في رئاسة الوزارة إذا كنا حنتكلم في رئاسة الوزارة محدش يتكلم في سكرتارية الحزب لا بد أولاً أن نبحث في رئاسة الجمهورية ورئاسة الوزارة وكنت باتكلم في هذا بوصفي وقتها أولاً كصديق ثانياً وهذا مهم بوصفي وزيراً للارشاد وعضواً في مجلس الأمن القومي وجدت أنني كنت موجوداً في هذه اللحظة، وبعدين وقفت مع الرئيس السادات في هذه الفترة وكنت لفترة طويلة ـ من أقرب الناس إليه على الأقل لثلاث سنوات واحنا اختلفنا في هذه الفترة خلافات كبيرة جداً وأنا لم أخف رأيي. أنا وأنتم تعلمون كنت على علاقة طويلة بالرئيس عبد الناصر وأنا بادعي أنها كانت علاقة حوار متواصل ويمكن لما اعتذرت عن مناصب واتعرض عليَّ وزير إرشاد لأول مرة بالتحديد سنة ٥٦ رجوت أن أبقى طرفاً محاوراً أنا عارف ظروف السلطة في العالم الثالث لا يمكن تفكر في العالم الثالث من غير ما تاخذ التاريخ في حسابك يبقى ده ضرب من الهذيان وأنا عارف الوحشة اللي على قمة السلطة وأنا عارف أهمية وجود طرف محاور للمسئول الأول اللي عنده سلطة القرار وعارف أنه في العالم الثالث لم تكن المؤسسات قوية بالقدر الكافي وأنه في النهاية هناك رجل يتخذ القرار قعدت ١٨ سنة طرف محاور مع عبد الناصر وقعدت ٣ ونصف سنة طرف محاور مع الرئيس السادات لا ده كان سهل ولا ده كان سهل لكن باشهد أن الرئيس عبد الناصر كان واثق إني بكلمه من داخل النظام وعلى أساس استراتيجي واحد. ومع الرئيس السادات أنا لم أخف عنه رأياً واحداً ولما جه في لحظة الافتراق عند خلافنا المبدئي في موضوع فك الارتباط الأول قبلت قراره بالطبع وبدون مرارة أنا بلغني القرار بالليل لم يكن القرار مفاجئاً لي أنا كنت واخد

له الرئيس ميتران وكان ضيفنا وقتها على «الأهرام» وكان معانا لمدة عشرة أيام.

وقعدنا اتناقشنا لمدة ساعتين واحنا نازلين نركب العربية سألني الرئيس السادات على درجات السلم «محمد قرارك ايه الرئاسة ولا الوزارة» لأنه كان قال لي أن بقائي في الأهرام مع المقالات بقت مسألة صعبة لأن الناس بدأت تحس أنه فيه خلاف كنا قد تقابلنا قبل ذلك ـ في نادي الرماية وحاولنا نتكلم وقلت لا أريد سوى أن أكون صحفياً، وإذا لم يكن في الأهرام فأعتقد أن في وسعي العمل في أية صحيفة خارج مصر، سألني الرئيس السادات بعد لقاء ميتران ما هو قرارك قلت له لا مستشار في الرئاسة ولا عضو في الوزارة قال لي ده قرارك الأخير قلت له مش مسألة قرار ده خارج طاقتي وهو على السلم قال لي خلاص يا محمد مفيش فايدة.. يوم الجمعة بلغوني بتعيين الدكتور حاتم رئيس مجلس إدارة الأهرام وتعييني مستشاراً لرئيس الجمهورية قلت لهم في الأهرام انشروه بطريقة طبيعية وأنا رحت الصبحية الأهرام وعملت اجتماع لمجلس الادارة واللجنة النقابية والاتحاد الاشتراكي ودعوت الدكتور عبد القادر حاتم ليتسلم الأهرام لأنني مش باعتبر نفسي رجل طرد وإنما اعتبر نفسي رجلاً اختلف وقبل تحمل مسئولية الخلاف.

قعدنا ٦ أشهر لا نتقابل طبعاً لغاية ما الرئيس ذات يوم في أكتوبر وأنا قاعد أشتغل في كتاب عن حرب اكتوبر اسمه «الطريق إلى رمضان» اتكلم في التليفون من نفسه لقيت التليفون وأظن كان فوزي عبد الحافظ قال لي سيادة الرئيس عاوز يكلمك. ايوه قال لي بتعمل ايه يا محمد قلت له قاعد باشتغل قال لي بتشتغل في ايه قلت له باكتب كتاب قال لي سيب الكتاب وتعالى قابلني في استراحة الهرم رحت واخد بعضي ورايح استراحة الهرم وقعدنا اتكلمنا، وقتها كان كيسنجر بيلف في المنطقة عشان فك الارتباط الثاني أول محاولة قعدنا اتكلمنا والراجل كان لطيف جداً وسمع كل كلامي سألني حتعمل إيه قلت له أنا باشتغل في الكتاب وعندي عقود بكتب أخرى وكويس كده أنا مبسوط باشتغل قال لي أنا مسألتكش حتعمل ايه في نفسك أنا بسألك حتعمل ايه معايا أنا قررت تعيينك مستشار أنا عندي استقالة حافظ اسماعيل ايه رأيك في مستشار الأمن القومي قلت له حقول لك حاجة أنا بعيد عن الصورة بقى لي ٦ أشهر.

قلت له عاوز مكان ومكانة الصديق راح ضارب على الترابيزة وقال لا لا لا دي بلبلة على أي حال قعدنا أصدقاء لغايـة ما طلع كتاب «الطريـق الى رمضان» يدهشك ان أنا كنت جانبه في هذه الفترة في مفاوضات فك الاشتباك في أسوان يدهشك ان أنا كنت جانبه باعتقد والشهود موجودين أحياء.. أنا كتبت له على سبيل المثال خطاب البرلمان اللي أعلن فيـه فشل المفاوضات على فك الارتباط الثاني وأنا اللي قدمت فيـه اقتراح فتح قناة السويس وهو كان من رأيـه الاغلاق وكـان رأي مستشاريـه الاغلاق ناقشني في الاقتراح ٣ أيـام وبعد كده قبل وبعدين كتبت الخطاب بتاع التغيير الوزاري واتناقشت فيه وتلاحظ أنه في خطاب التغيير الوزاري أنا ارتجيته ان احنا نضيف كذا نقطة وهي الأسعار وكيف يستطيع أحـد بمرتـب كذا أنـه يعيش وناقشنا مسألة الفساد دول القضيتين اللـي أنـا فاكرهـم قضية الأسعـار وتـكاليف المعيشة وقضية الفساد ومع ذلك لما جيت سافرت العالم العربي ـ أنا بشتغل في كتاب عن العالم العربي ـ لم يطلع لأن الظروف تغيرت خدت منه رسائل لبعض الناس.. وأنا حاولت مع الرئيس حافظ الأسد والرئيس حافظ الأسد موجود حاولت أزيل الجفوة اللي كانت موجودة بينهم وجت بعد حرب اكتوبر وناقشت الـرئيس الأسد بطريقة لم تحدث لدرجة إني قلت له سيادة الرئيس احنا عرفنـا عنـك من الرئيس السادات وأنا لا أخفي عليك أني كنت باستمرار متشـكك في البعـث في سوريا والرئيس السادات كان يؤكد أنك شخص من نوع آخر لدرجة أن أنا قلت للرئيس يا سيادة الرئيس أنت عمال تقول حافظ الأسد حافظ الأسد يعني حافظ الأسد حيطلع ايه ما هو برضه بعثي وضابطوعلوي فالرئيس الأسد قال «العمى هيك قلت له» قلت له الحقيقة حصل. لكن حاولت ازيل الجفوة بكل الوسائل وبعدين رحت إيـران في هذه الفترة ورحت شفت الشاه وناقشته ورجعت لقيـت حملة شعواء في الأهرام عليَّ بسبب كتاب «الطريـق الى رمضان» بحجة أنني تجاهلت دور الرئيس السادات ولم يكن هذا صحيحاً على الاطلاق كل الناس اللي قرأوا هذا الكتاب وما زال هذا الكتاب موجوداً كل النقاد أجمعوا على أن الرئيس السادات كان بطل هذا الكتاب

محدش يقدر ينكر على الراجل دوره في حرب أكتوبر أبداً، لكن أنا لقيت نفسي متهم بتزييف التاريخ وبعد هذا اتهمت إن أنا رحت أمريكا عشان أبوظ رحلة أمريكا وهذا لم يحدث على الاطلاق قد تدهش أن الدعوة إلى رحلة أمريكا عشان أتكلم في مؤتمر اتحاد الخريجين العرب من الجامعات الأمريكية جات لي في شهر مارس وكنا أصدقاء وأنا استأذنته قلت له جت لي دعوة في أكتوبر قال لي لازم تروح ورحت شيكاغو وكان طبيعي أني أرجع إلى نيويورك وأبص على واشنطن فقيل له ان أنا رحت أبوظ رحلته كيف يستطيع صحفي أن يبوظ رحلة رئيس جمهورية وبعدين رجعنا من هذه الرحلة فإذا حملات وحملات.

أنا لا أنكر أنه كان فيه خلافات وان أنا عندي آراء اختلفت أنا قلت لك أنا طرف محاور ومعنى أنك طرف محاور أنه كان فيه اراء مختلفة لكن قلت باستمرار كصحفي أنا واجبي وأعتقد أن مهمتي تقتصر عند تبيان وجهة نظري ولا أذكر أني كتبت كلمة تجاوزت فيها أنا عايز واحد يدلني على كلمة واحدة فيها تجاوز وأنا فخور بكل اللي عملته فيها لكن ده مختلف دي قضية ثانية لا عمري شتمت ولا عمري هاجمت أنا بعبر عن خلافاتي في حدود تحليل موضوعي وقد أخطىء وقد أصيب.

● **المصور: ألم يحدث مثل هذا الخلاف مع الرئيس عبد الناصر.**

■ هيكل: بعض الناس تتصور أن علاقتي بالرئيس عبد الناصر كانت سهلة الرئيس عبد الناصر تقريباً مكانش بيقرا مقالاتي لكي نتجنب أي خلاف هو بيعرف إن أنا بصفة عامة موافق على الخط الاستراتيجي ولكن لم نكن نناقش المقالات مع بعض اطلاقاً. مرة واحدة ناقشني في مقالة وكان عنوانها التغيير وكنت بقول فيها إذا لم يستطع النظام أن يغير إذن فلا بد أن يتغير كان مقدمة المقالة كده وهو ضرب لي يومها تليفون وكلمني بالليل وقال لي:

مقاتلك مكتوبة بأسلوب غسان تويني مع شارل الحلو بس أنا مش شارل الحلو وأرجو أن متبقاش أنت غسان تويني قلت له نتقابل على أي حال نتكلم في الحكاية دي واتقابلنا واتكلمنا وانتهى الموضوع.

● **المصور: كمراقب: ما هي ملاحظاتك من مسلك الأغلبية والمعارضة قبل حادث الاغتيال؟**

■ هيكل: أنا كنت شايف. ان هذه الخناقة ملهاش لزمة، بمعنى ايه، أنا باطلع نفسي بره الموضوع، بتقولي كمراقب، باعتقد كلنا دخلنا في مسائل فرعية من أول النظام إلى المعارضة وبقينا بنتكلم في شكليات يمكن أنا قلت الكلام ده للأستاذ ابراهيم شكري أما جه يكلمني وعايزني أكتب في صحيفة حزب العمل قلت له أنا متردد في الكتابة وقلت له إنني كنت أتصور أنكم سوف تطرحون قضايا مصر الحقيقية، على سبيل المثال رؤية استراتيجية لمصر، إلى أين، وما هويتها ولكننا جميعاً مشتبكين في خناقة وأنا أعتقد مع تسليمي الكامل بكفاءة عدد من الناس اللي بيكتبوا في العمل لكن أنتم بتكتبوا بأسلوب يحتاج إلى ربط احنا سيبنا القضية الأساسية لمصر ودخلنا نتخانق في مسائل فرعية ولم تحدد القضية الأساسية فأنا بصراحة لم أكن متحمساً لسياسات الأغلبية ولا كنت متحمساً لمواقف المعارضة وكنت باتصور أن البلد في خاجة وما زلت أتصور أن البلد في حاجة إلى مناقشة كليات المسائل، مع الأسف احنا محتاجين إلى أن نعيد تحديد استراتيجية مصرية وعلينا أن نقرر هل احنا عرب ولا مش عرب وأسئلة تبدو بديهية جداً لكن احنا رجعنا لها تاني أين أمن مصر أين هوية مصر ـ كيف يمكن أن ننمي مصر ـ لازم نرجع نبت في هذا وإذا لم نبت فيه فإننا سنظل في حلقة مفرغة.

لا أقول أن الوقت الآن مهيأ لهذه المناقشات ولكنني أتصور أن الرئيس مبارك لا بد وأن يضع مثل هذه الأسئلة الكبيرة ومثل هذه القضايا الضخمة للمناقشات عندما يفرغ من مهامه العاجلة ليس معقولاً لغاية النهاردة أن احنا لم نبت في قضايا هامة جداً زي هوية مصر وعلاقة الدين والدولة.. والسبيل إلى تنمية شاملة..

● **المصور: كيف كان حوارك مع هؤلاء الشباب من الجماعات الدينية تحت التحفظ. ماذا يحكم عقول هؤلاء؟**

لقد أبديت نوعاً من الحماس عندما التقيت بحراس الخميني في السفارة الأمريكية أثناء حصارها في طهران وقيل أنك أبديت انزعاجاً شديداً عندما

دخلت في حوار مع شباب الجماعات الدينية الذين كانوا معك تحت التحفظ في طرة.

لماذا اتحمست في طهران ولماذا انزعجت في طرة؟

■ هيكل: عندما دخلت إلى السجن كان نصيبي الزنزانة ١٤، كنت فيها وحدي تركت حاجاتي خارج الزنزانة، أخذت فقط فوطة وفرشة ومعجون أسنان، جلست وحدي على كومة من ٥ مراتب بعد ساعة فتح الشاويش ودخل قال قروانتك.

قلت له: قروانة ايه..

قال: قروانتك.

قلت: ما عنديش قروانة.

قال: اهه.. عشان تاخد جرايتك.

وكان معاه صفيحة عسل أسود و٣ أرغفة قال فطارك وغداك وعشاك هتاخدهم ولا لأ.

قلت: لا.

قال: مش هتاخدهم هابلغ واغلق الباب ومشى.

جلست ٤ ساعات أو خمس ساعات لوحدي وبعدين جاءني ضابط الحقيقة ظريف وقال لي يا أستاذ هيكل ربنا معاك قلت له ربنا يحفظك بس إيه الحكاية ـ ايه هو أنا قاعد في حبس انفرادي قال لا في زنزانة جنبك تحب تروح تشوف فيها ايه.

رحت لقيت عمر التلمساني وكمال أحمد وابراهيم طلعت والزنزانة مليانة إلى آخرها قلت هارجع الزنزانة الأولى بس شوفوا حد يتطوع ويقعد معايا، تطوع ابراهيم طلعت وكمال أحمد وجم وبعد شوية كده وإذا بشبان من التكفير والهجرة.

جاء الضابط وقال بيقولوا عايزين نتناقش مع الأستاذ هيكل ـ قلت له هاتهم وجاءوا وقعدت اتناقش معاهم قلت فرصة أكتب مقالات عن «خريف الغضب في مصر» كل التصرفات في الحقيقة غضب قطعت المناقشة حوالي الساعة ٤ وكنت جوعان لأنني لم آكل العسل الأسود، أنا خسيت ١٢ كيلو، وإذا بهم جم الساعة ٤ ياخدوني وقالوا هنفتش البيت والمكتب والمزرعة ـ حاضر ـ رحنا فتشوا البيت

والمكتب والمزرعة ـ ورحنا المزرعة فيه واحدة ست مرات واحد في المزرعة عملت طبق بيض بالسمن وطبعاً ما كنتش أقدر أكله!.

أعطتني ٥ أرغفة و٦ بيضات وعندما عدت حاولت أن أقنع مأمور السجن عشان أدخل الأكل والمياه في الآخر أذن لي وكان فيه شاب اسمه أكمل هو الذي جاء إلى زنزانتي مرة أخرى لاكمال المناقشات؟

● **المصور: ما فكر هؤلاء وما مدى الخطر الذي يمثلونه على مصر؟**

■ هيكل: أعتقد أن الاسلامبولي هو الوجه الآخر لنفس العملة التي يمثلها هذا التاجر الذي استطاع أن يصنع عشرات الملايين من المخدرات لا بد أن أكون صريحاً لأقول أن التناقضات الاجتماعية كانت قد وصلت في هذا البلد إلى حد الخطر خصوصاً مع غياب الحلم المصري، مع غياب الأمال القومية الضخمة.

الحلم المصري تحول إلى أن كل شاب مصري يتخرج من الجامعة يروح يشتغل في العالم العربي حتى يتمكن من الحصول على الشقة ومن تكوين أسرة هذه الفرصة ليست ميسورة للجميع.. خذ واحد شاب مصري عادي أتخرج في الجامعة وعايز يشتغل وعايز يتجوز وعايز يفتح بيت ومعندوش قرايب يودوه بنك تشيز مانهاتن ويجيبوا له مرتب ٤٠٠ أو ٥٠٠ دولار هيطلع يشتغل بالطريقة الطبيعية في شركة صناعية أو تجارية أو شركة قطاع عام وهياخذ ٤٠ أو ٥٠ جنيه يتجوز ازاي؟. حلمه الوحيد أنه ياخد بعضه ويسافر العالم العربي.

في وقت من الأوقات كنت باقول فيه حلم عربي شامل وفيه تصورات اشتراكية وتبني ونصنع.. أنا أكثر حاجة خايف عليها مجموعة القيم التي ذهبت.. لما تحولت الفلوس لتصبح القيمة الوحيدة في المجتمع.

طب أنا حاقولك حاجة.. واحد بيقول لي في الأسئلة المكتوبة أمامي: إن دخل كتبك كبير قلت له، الحمد لله لكن بيخفف عليَّ انني أعلم أن كل قرش عندي جاي من قلمي إذا كنت أستغل وهذا غير مطروح فأنا أستغل القارىء الياباني أو الأمريكي أو الانجليزي أو الفرنساوي.

فيه شاب بيسألني العالم الخارجي بيديني كام، أقول له باخد جنيه استرليني للكلمة الواحدة من أي كتاب وأنا فخور بهذا وباعتقد أنه يشرف كل صحفي مصري وأنت تعرف أن نظام النشر في العالم فيه كذا تصنيف.

هناك الزعماء، نيكسون بيكتب مذكراته كيسنجر ايزنهاور ديجول دي قضية مالناش دعوة بيها ييجي بعد كده سياسيين أو صحفيين من الدرجة الأولى وأن الناشرين اللي يتعاملوا معايا يضعوني في تصنيف فيه ١١ صحفي في العالم وبيدوهم جنيه على الكلمة وتلاقي واحد يزعل.. أنا أحاسب لو عملت ثلاث حاجات: ١ ـ إذا كنت أسأت لمصر بكلمة واحدة ولقد اتهمت بأني أسأت لمصر دون أن ينشروا كلمة واحدة مما أسأت فيه لمصر. ٢ ـ إذا كنت لا أؤدي واجبي الاجتماعي، لكن أنا بأؤدي واجبي الاجتماعي كأحسن ما يكون. ٣ ـ إذا كنت لا أدفع الضرائب وأنا أدفع ما علي من استحقاق.

يا أخي كتابي الأخير عن إيران تمت ترجمته إلى ٣١ لغة، السجن نفعه مع الأسف الشديد لما دخلت السجن كان لـ ١٧ لغة خرجت من السجن بلغوني أنه ترجم إلى ٣١ لغة.

● **المصور: نرجع تاني لفكر الشباب المتطرف.**

■ هيكل: غير صحيح انني كنت سعيداً بهؤلاء الشبان في السفارة الأمريكية لقد وصلت مع هؤلاء الشباب في النقاش لدرجة من الحدة قلت لهم أنتم تتصورون أنكم تخدمون الثورة الإيرانية.. أنا آسف أقول لكم أنكم حولتم الثورة في ايران من ظاهرة انسانية إلى ظاهرة اسلامية إلى ظاهرة شيعية إلى ظاهرة شيعية في ايران فقط. قلت لهم الكلام ده في السفارة الأميركية.. أنا حاولت أفسر ما حدث للعالم..

لقد كان دوري في الكتابة أن أشرح للعالم لماذا حدث ما حدث في ايران ما كنتش بادي الثورة الايرانية تعاطف غير مشروط، أنا أعجبت بها كظاهرة انسانية.. أعجبت بالخميني حتى كشخصية ولكنني وصفته في مقالاتي بأنه زي الرصاصة اللي انطلقت من القرن السابع تخش في قلب القرن العشرين، رجل مقطوع من

حقائق الدنيا حقائق العصر الحديث لكنه يمثل شيئاً خاصاً في تاريخ الشيعة يعني أنا حاولت أشرح ماذا حدث في ايران، أنا لا يهمني الدفاع عنها لكن يهمني أشرح ظروف الثورة الايرانية. أنا شايف المشاكل اللي مرت بها، وطبيعة التناقضات التي تعيشها، والأخطاء الفظيعة اللي وقعت فيها وارتكبتها لقد ارتكبت أخطاء بشعة، ولكن هذه طبيعة التاريخ. لو حد قدر ياخد التاريخ ويدخله في غرفة معقمة يبقى كويس. لكن هذا لم يحدث حتى الآن. هذه حركة تاريخية ووقعت في أخطاء ولكن تعالى تصور معي لو كان فيه صحافة وتليفزيون وراديو وجرايد وقت الثورة الفرنسية، ماذا سوف يكون مظهر الثورة الفرنسية ومع كل فإنني لم أحاول الدفاع عن الشباب الايراني، ولم أتجن على الشباب المصري.

● **المصور: إننا نرى أن الثورة الايرانية قد أكلت نفسها، بل أنها تبدو لنا عملاً خارج التاريخ وخارج العصر ومع هذه المذابح والقتل والانهيار الداخلي ماذا يمكن أن نتوقع منها؟**

■ هيكل: ايران بلد مشكلته أنه أخطر بلاد العالم. ايران بؤرة.. مهمة جداً وسط الصراع بين الدولتين الكبيرتين.

ايرن هذا العازل بين الاتحاد السوفيتي وبين منابع البترول والمياه الدافئة في المحيط الهندي هو أقرب نقطة يصل بها الاتحاد السوفيتي للمحيط الهندي.. ايران في قلب الصراع. هذا وطن ممزق لديه ظروفه الخاصة مزيج متفجر من قومية أقلية، ومذهب أقلية، الشيعة والوطنية الفارسية، الوطنية الفارسية محصورة بين شبه القارة الهندية والعالم العربي. والمذهب الشيعي محاصر.

لقد امتزجت عقيدة الأقلية، ووطنية الأقلية امتزجوا وبقوا حاجة واحدة. دولة بعقيدتها بدينها بأقلياتها تمثل مشكلة حقيقية جاء الشاه والأسرة البهلوية ليغطوا كل ذلك، حاولوا تغطية التناقضات دي كلها لكنها انكسرت مع الثورة.

● **المصور: إننا نعتقد أن أخطر ما في الثورة الايرانية هو استيلاء رجال الدين على السلطة باسم الحكومة الاسلامية التي أهدرت كل مؤسسات الدولة؟**

■ هيكل: أنا معرفش حاجة اسمها حكومة اسلامية، لكنني أستطيع أن أقبل وجود حزب اسمه حزب إسلامي يعمل في العلن كحزب سياسي وفق شروط الأحزاب السياسية.

عليهم أن يقولوا لنا برامجهم، أنا شفت في السجن بعضهم أستطيع أن أقول أن الخميني أكثر استنارة وفي باريس قلت للخميني: إنك بالدين قد تستطيع بمدافع الدين أن تدمر النظام القديم... لكن لكي تحقق النصر لا بد أن يكون لك مشاتك المشاة التي تحتل مواقع عدوك، وبدون ذلك لن تستطيع أن تبني الدولة ومشاة الدولة هم الكوادر السياسية والتكنيكية والادارية، الفنيون المهنيون والاخصائيون، وفي الآخر قال الخميني رداً على سؤالي، إن الدولة الإسلامية هي العدل والمساواة والحرية. فقلت له إذا وصلنا للحرية والعدل والمساواة اتفقنا.

هنا أيضاً يقولون دولة اسلامية وتنمية إسلامية، مفيش حاجة اسمها تنمية إسلامية، وسياسة دولية اسمها إسلامية، السؤال كيف تحققها ومع ذلك أنا أقول أني لا أتصور شيئاً اسمه حكومة إسلامية، والإسلام في النهاية يعني مبادىء. فيه مبادىء إسلامية وهذه المبادىء رموزها واضحة وعندها يقول أحد أن رموز الدولة ينبغي أن تكون العدل والحرية، فأنا أقبل ذلك. ولكن المهم أن يتقدموا ببرنامج، الحزب السياسي يعني برامج حقيقية تقدم للجماهير، برامج تجيب عن أسئلة ومشاكل التنمية والديمقراطية، عندما يتحدثون عن الشورى في الإسلام بدلاً من التمثيل النيابي فاننا نسألهم كيف يحققونها؟

● **المصور: ماذا أزعجك على وجه التحديد في حوارك مع شباب التكفير داخل السجن؟**

■ هيكل: عارف هاقولك نموذج عملي، احنا دخلنا في الزنزانة ومعنا «أكمل» هذا الشاب الذي تحدثت عنه بعد شوية قعدنا نتناقش مع بعض ولقيته قافل تماماً وابتدى

يتكلم يا بني بتعمل ايه ما هو دورك في الحياة قال باعبد ربنا طيب يا بني بتعبد ربنا ازاي؟ قال بالصلاة طب يا بني ما تقدر تعبد ربنا بالصلاة والعمل والاتصال مع المجتمع بدأ يقول ﴿ **وماخلقت الانس والجن إلا ليعبدون** ﴾ طيب يا راجل أنا باعتقد أن ربنا خلق الانسان في الأرض ليعمل مهمة اكبر من كده، ليعمر الأرض، ليطور الحياة لأن في الانسان جزءاً من نور الله، مش قادر يفهم، بعدين ابراهيم طلعت أثار مناقشة معايا عن السياسة فالشاب تركنا وراح نايم على المرتبة، حاولت أن أشده إلى حديثنا. قال هذه أمور دنيا لا أناقشها. طب يا بني مصر هتعمل ايه؟ قال لا هذه أمور دنيا لا أناقشها وهو شاب في كلية الهندسة.

ولما تيجي تحللها تلاقي أنه شاب اتسد أمامه الطريق فآثر هو أن ينسحب.

● **المصور: هل حقاً لديك مشروع لإنشاء صحيفة يومية، وأين ستكون؟**

● أنا خارج لعبة الصحافة المصرية في هذه المرحلة تماماً أنا راجل مواطن آثر دائماً أن يعيش في وطنه ما بعدتش عن مصر أبداً أكثر من شهر واحد في أي وقت ومع الأسف بقيت شأني شأن أي فلاح أول ما بيطلع بره مصر بعد أسبوع يحس أنه هيموت عايز يرجع مصر.

● **المصور: أين تضع نفسك على خريطة المعارضة؟**

■ هيكل: أنا رجل تربطه صداقات بأطراف المعارضة ولكن لا أعتبر نفسي معارضة، أنا كنت مع بعضهم في السجن! أنا راجل بادعي أنني صحفي مهمته أن يقول رأيه ورؤيته وأنا أقول رأيي ورؤيتي باتفق مع الكل أحياناً وباختلف أحياناً، أنا عمري ما مضيت عريضة، يا راجل أنا في وقت جمال عبد الناصر وأنا من أقرب الناس إليه لم أكن عضواً في التنظيم الطليعي أبداً، كنت عامل استمارة اتحاد اشتراكي بقرشين صاغ في الشهر زي التانيين كلهم لكن لم أقترب من الاتحاد الاشتراكي وكانت مشاكلي كلها وأنت تذكر مع الاتحاد الاشتراكي أو مع التنظيم الطليعي...

● **المصور: كنت عضواً في اللجنة المركزية؟**

■ هيكل: تحب أقول لك بقيت عضو لجنة مركزية ازاي؟ طلب مني الرئيس عبد الناصر أن أدخل اللجنة المركزية بعد هزيمة ٦٧ لأن الظروف تقتضي تفاعل كل الآراء. . وقدموا ورقة ترشيحي بخطغير خطي وحصلت على أصوات ولقيت نفسي منتخب ورحت عملت مشاكل في اللجنة المركزية أكثر مما حليت مشاكل.

● **المصور: إن ما نراه حولنا في العالم العربي يؤكد لنا في بعض الأحيان أن العرب لا يريدون أن يجهدوا أنفسهم في فهم مصر؟**

■ هيكل: أنا قلت الكلام ده للرئيس معمر القذافي في آخر زيارة له لمصر سنة ٧٣ بعد حرب اكتوبر وهو كان بيلف على الدنيا بيحاول يقنعها بالوحدة كنت أقول له يا أخ معمر أنت يمكن بتحب مصر لكن لم تستطع أبداً فهم مصر. . ويمكن دي مشكلة ناس كتير من اللي حبوا مصر. . العالم العربي كله بيحب مصر لكن مع الأسف الشديد لم تجيء فرصة للعالم العربي ولناس كثيرين يعرفوا مصر الحقيقية لكن للأسف الشديد احنا عندنا مشكلة العالم العربي بيشوف في مصر واجهات غلط. . يا أما بيشوفوا المصريين رايحين هناك طالبين عمل يا أما يزوروا مصر مع الأسف الشديد. وأنت عارف بيروحوا فين وبيصرفوا فلوسهم فين وهنا أو هناك ليست مصر الحقيقية العرب بييجوا هنا يعيشوا على حافة المجتمع ما بيشوفهش بيعرفوا دور مصر ويحبوا ثقافة مصر ويأنسوا إلى مصر وبيموتوا عشان ييجوا مصر لكن يبقى أنهم لا يعرفون مصر.

● **المصور: الرئيس مبارك قال ما فيش أي قيد على أي فكر. . هل تتوقع أن تفرج الرقابة عن كتبك الستة التي صدرت خلال السنوات الخمس الأخيرة والسؤال الثاني هل تتوقع أن الصحفيين الموجودين في الخارج يرجعوا مصر ويمارسوا دورهم في ظل الوضع الجديد.**

■ هيكل: أنا أول من يقدر ظروف بلده وأنا محدد اختياري أني باق في هذا البلد، وأنا جزء منه.

ولائي له ولن أتركه أنا لم أغب عن مصر طوال هذه المدة أكثر من شهر واحد

رغم أن ناس كثير تصوروا إن أنا قاعد بره لم أقبل ولن أقبل أبداً حكاية لاجىء سياسي دي أبداً وقلتها كتابة في الأهرام ليس لي عمل خارج مصر وليس لي بيت خارج وليس لي قبر خارج مصر أما أن كتب تمنع أو لا تمنع هذه مسألة لها تقديرها للظروف لكن أنا أتكلم فيما يتعلق بي. أنا في الوضع الموجود حالياً زي ما أنا شايفة كده من الأفضل أن أكون خارج لعبة الصحافة المصرية.

أنا أتحرق شوقاً أن أعود للقارىء المصري وأرجع للناس يتفقوا ويختلفوا معايا، يضعونني على صليب ليلاً وينزلوني منه صباحاً ولكنني أعتقد وأنا مشفق على أوضاع مصر في الفترة القادمة أن من الخير أن أكون خارج لعبة الصحافة المصرية أما مشكلة الصحفيين في الخارج أنا باتمنى والرئيس مبارك فتح لهم صفحة جديدة وأنا باتمنى أن يعودوا لأن الدعوة صادقة. وسوف أعطيكم نموذجاً آخر، من ساعة الفريق الشاذلي ما طلع من سفارتنا في لندن وأنا ما شفتوش وأنا تجنبت لقاءه وكان رأيي أنه لو كان عمل أي حاجة عايزها وجاء إلى مصر وقدم نفسه إلى مجلس عسكري.. فقضيتنا جميعاً في هذا المجتمع تبدأ وتنتهي هنا اللي عايز يتكلم واللي عنده رأي ييجي يقول هنا وليتعرض في سبيله إلى ما ينبغي أن يتعرض له.

أما إذا كانت دولارات البترول سهل تشتري ده وتشتري ده وده يقعد هنا وده يقصد هناك ونفتح دكاكين برة هذا مرفوض، فضلاً عن أن على الجميع أن يعرفوا أنه لا مجال للتأثير من الخارج.

بالنسبة لي القضية مختلفة، أنا هنا ولكنني ببساطة أوثر في هذه المرحلة أن أقول للكل أنا لست عائداً إلى شيء إطلاقاً إذا ما تحملتني صحيفة التايمز فسوف أكتب لها.

● **المصور: نريد أن نعود مرة أخرى لكتاب الثورة الإيرانية؟**

لم أقرأ الكتاب ولكنني قرأت المقالات الخمس التي نشرتها في التايمز وكانت محلاً لمناقشة مع بعض الايرانيين قالوا لي إنك منحاز للنظام الايراني؟

■ هيكل: كل كاتب في الدنيا بياخد موقف ما فيش كاتب في الدنيا محايد وأنا

باعترف أن الثورة الايرانية بهرتني في أيامها الأولى وحاولت أن أفسرها وأن أشرحها للعالم لكنك لو عدت إلى الفصول الثلاثة الأخيرة تلاقيني توقعت ما حدث وللأسف فلقد صدقت توقعاتي عن خلافات الداخل والخارج وعن رجال الدين والسياسيين والدور الذي سوف يلعبه الجيش والارهاب والارهاب المضاد.

علينا أن نعرف أيضاً أن وسائل الاعلام والتجسيد التليفزيوني قدم نقلة كبيرة جداً في الأخبار وتأثير التليفزيون على صنع القرار السياسي أصبح خطيراً.

انتقلت المهمة من المخبر الصحفي الى المخرج والمخرج عاوز لقطة دراماتيك تقدر تقول كل الحكاية في لقطة واحدة وهو اللي بيدور الرؤية كلها وهو اللي جايب العلم الأمريكي وبيديه للشباب يحرقوه وبينقل الصورة لأمريكا بعد الظهر والرأي العام الأمريكي بيتفاعل بصورة مصنوعة وكارتر يتفاعل بالرأي العام المتأثر بصورة مصنوعة والقرار الأمريكي بيتأثر وبيؤثر في ايران وهكذا الدورة.

بصرف النظر أنت أمام ثورة في التأثير. . التليفزيون بيسرق منك المنظر والرؤية وبيؤثر على القرار السياسي. والسلطة تنتقل من رئيس التحرير إلى مخرج التليفزيون.

● **المصور: دون أن نسعى إلى توسيع أو زيادة حد الخصومة مع بعض الصحفيين المصريين ألا تعتقد أنك سعيت إلى أن تكون الصحفي الأوحد في مصر؟**

■ هيكل: إنني أقول ابتداء أنني لا أسعى إلى أي مكان في الصحافة المصرية بالرغم من حرصي الشديد على العودة إلى قارئي الطبيعي، لقد بقيت ٨ سنوات أكتب خارج مصر الآن لأنني لست على استعداد لأن أشارك في معارك تبدو من وجهة نظري مصطنعة كما أن مصر في الفترة القادمة لا تستطيع أن تتحمل مثل هذه المعارك التي لا تقدم ولا تؤخر.

إن كان لي خصوم ـ وهذا يدهشني حقيقة ـ في الصحافة المصرية فلقد تركت المسرح كاملاً للجميع ولكني أود أن أقول:

لقد سعيت جهدي إلى أن أساعد الصحافة المصرية ولقد سعيت جهدي إلى أن أقف إلى جوار العاملين فيها.

لقد سعيت إلى خلق صحافة حديثة عندما توليت الأهرام وأقول ببساطة هذا هو الجهد الذي قدمته، وإن رأيتم أنه أقل مما ينبغي فأطلب منكم أن تكونوا متوازنين. أما حول قضية احتكار الصحافة أيام الرئيس عبد الناصر. أقول أن العلاقة بين الصحافة والسلطة علاقة حوار وصراع وهي في نفس الوقت علاقة اعتماد متبادل فيه صراع بينكم، إنت عايز منه حاجات كتير قوي وهو عاوز منك حاجات كتير. وهو عاوز ياخد منك خدمات أكبر ويديك أخبار أقل إنت عاوز العكس. العلاقة متشابكة وعلاقة معقدة لكن يبقى معيارها في النهاية هو إلى أي مدى اللي أنت ممكن تعمله سياسياً يمكن أن يتحول في النهاية إلى عمل إخباري. إلى أي مدى يخدم صحافتك وإلى أي مدى يخدم جريدتك إلى أي مدى يساعدك على الاحتفاظ باستقلالك وبحريتك.

● **المصور: ماذا تقول للصحفيين الشبان؟**

■ هيكل: مكرم التجربة هي اللي طلعته في الأهرام سنة ٥٨ أخذنا مجموعة شبان كثيرة جداً هم الشباب اللي شالوا الأهرام لكن أنا سعيد جداً أنه يكرر التجربة في المصور بهذه المجموعة الكبيرة من الشباب أنا كنت دائماً ويفتكر مكرم كنت باقول أن أكتر حاجة مخوفاني في الصحافة المصرية هو اليوم الذي يمكن فيه أن ينتقل الرقيب من طرف المائدة أمامي إلى أن يكون داخلي لأن الرقيب طول ما هو أمامي أنا عارف مين هوه وأنا طرف معاه في الحوار لا ينبغي للرقيب أن يصبح هاجساً داخلياً.

● **المصور: هل لديك شكوك في أن الاسرائيليين سينسحبون في ابريل؟**

■ هيكل: لا أستطيع أن أعرف لأنني بعيد عن الصورة منذ تسعين يوماً يمكن قبل ذلك كنت أقابل ناس وأتحدث معهم لكن في الفترة الماضية أنا لم أطلع على جرائد ولم أقابل أحداً وأنا ما زلت أقول أن اسرائيل غير قادرة على السلام وما زلت أقول أن أمن مصر في الجسر البري بين مصر وآسيا.

● **المصور: ماذا إذا اتصل هذا الجسر بالسلام؟**

■ هيكل: ليس لدي عناد شخصي في الموضوع طالما أن في ذلك أمن مصر وأمانها وأنا مستعد أن أعترف بالخطأ إذا رأيت الدليل. أنني أسأل نفسي دائماً هذا السؤال هل اسرائيل مستعدة أن تذوب في المنطقة. اسرائيل في مأزق تاريخي.

● **المصور: ما الذي وضع اسرائيل في هذا المأزق. أليس هو وضع السلام؟**

■ هيكل: المأزق التاريخي أثبتته حرب اكتوبر. وحرب أكتوبر أثبتت بما لا يدع مجالاً للشك أن هناك إمكانية انهاء ما يسمى بالفجوة الحضارية وأن مصر قادرة على الحرب. وأنا الذي وصفت حرب أكتوبر بأنها نصر استراتيجي وأن معنى ذلك أن العرب قادرين على تحمل المسئولية.

● **المصور: لقد قلت قبل حرب أكتوبر، أنك تريد حرباً محدودة تنتج آثاراً سياسية غير محدودة، معنى ذلك أن تقبل التفاوض والحوار؟**

■ هيكل: من غير ما ندخل في تفاصيل دعني أذكرك بأن فيه حروب محدودة. ممكن تجيب آثاراً سياسية غير محدودة وليس ضرورياً أن تنتهي بالتفاوض وأمامك النموذج وهي حرب السويس اللي أنا باعتبرها أنجح حرب في تاريخنا سياسياً.

● **المصور: لماذا نصحت الرئيس السادات إذن بفتح قناة السويس؟**

■ هيكل: علشان قناة السويس كانت مهددة بأنها ستفقد قيمتها والعالم كان حيبطل استخدام القناة إذا استمرت مغلقة لفترة طويلة والعالم كله كان مشارك في تطهيرها وعصر بناء الناقلات العملاقة كان قد بدأ ثم أن فتح قناة السويس مع فشل المحاولة الأولى من مفاوضات المرحلة الثانية في فض الاشتباك كان ظرف مثالي. يؤكد لكل الأطراف أن فتح قناة السويس تم بإرادة مصرية وليس نتيجة صفقة! أنا لست ضد السلام لكن إذا لم يكن لديك السلام الذي تريده فليس البديل الضروري لذلك هو الحرب الفورية، ومع ذلك أنا أتصور أننا نضيف إلى إمكانياتنا في كل مواجهة وهم كانوا يخسرون. كل مواجهة دخلتها استفدت منها وتعالى

نشوف موقفك في حرب أكتوبر كنت في اللحظة المثالية تاريخياً. اسرائيل معزولة وأمريكا مهتمة بالمشكلة والاتحاد السوفيتي معاك. العالم العربي معاك. سلاح البترول الرأي العام الدولي معاك نجاح عسكري ودخول الحرب أعطى إشارة أنك قادر وأنك تستطيع وأنت عملت تحالف ضخم جداً وكان لا بد أن تضغط بهذا التحالف.

أنا باعتبر أننا كنا نستطيع عمل سياسة متوازنة تعالى شوف التحالف اللي عمل نصر اكتوبر. لا بد من علاقة متوازنة مع القوتين. المنطقة بالجغرافيا مسألة مهمة القوتين لا بد أن يكون لك سياسة معهم. ولا بد أن تكون هذه السياسة متوازنة ولا بد من توازنها أن يتحقق لك أكبر مصلحة مع الاثنتين.

لم يكن عبد الناصر طبعة رخيصة من عصر النازيين (١)

عندي من الأسباب، ثلاثة، تثير شهيتي وتدفعني دفعاً لأجري حواراً مع.. هيكل!

● السبب الأول: مهني. فالأستاذ محمد حسنين هيكل، سواء اتفقت معه أو اختلفت، قيمه صحفية غير قابلة للجدل. انه «النجم الساطع» دوماً في سماء الصحافة العربية الذي أعطاه جهده واخلاصه المهني تأشيرة دخول إلى العالمية.

ولقد كان الصحفي هو «المتلقي» فقط للاحداث، وجاء هيكل وأصبح «مساهماً» في صناعة الحدث. إذ دخل «معمل» السياسة ولم يخرج بعد. كنا نقرأ مقالات هيكل، وكأنها قراءة في كف الدولة. وبعده، عرفنا وجع الأوراق التي لا تجد من يقرؤها!

● السبب الثاني: قومي، فمنذ احتجب اسم «هيكل» عن قلعته الشهيرة الاهرام، وهو «متهم» بالكتابة خارج مصر بما أساء إلى سمعتها وقدم إلى المدعي الاشتراكي، وبعد «عشر جلسات وثلاثين ساعة وثلاثة شهور.. استغرقت موسم صيف بأكمله» برئت ساحته وأن اسءة واحدة لمصر لم تصدر عنه. ثم جاءت ظروف عصيبة زج فيها بهيكل مع آخرين في السجن. وقضي داخله ٨٥ يوماً. حتى صدر قرار بالافراج عن كل من زج بهم... وخرجوا من السجن ليقابلوا رئيس الجمهورية ذات صباح، خطف الانتباه وأثار الدهشة وحدد معالم طريق.

● السبب الثالث: شخصي، فأنا مدين لهيكل باشتغال بالصحافة. وحين اتسلق شجرة الذاكرة، أتذكر أني وقعت في غرام كتابه الأول «إيران فوق بركان». لقد زلزلني السيناريو الفريد الذي يكتب به تحقيقاته وتحليلاته أشعرني أن الكتابة عشق. عناق بين قلم وورق. ومن صفحات كتابه التقطت «الجرثومة» والعدوى وأصابني مرض الصحافة، أجمل أمراض الدنيا، هذا الحبر الأسود المسافر في الدم ولا يعرف الارتواء!

.....

● مجلة صباح الخير - ١٤/١/١٩٨٢ - مفيد فوزي

لهذا سعيت إلى لقائه.

كانت ضجة ما بعد الافراج قد هدأت وعاد يرتب أوراقه بعد أن عاش تحت وطأة النظرات واللفتات والظنون!

كنت أعرف أني سألتقي بانسان نصف وزنه، ثقة بالنفس.

كنت اعرف اني سألتقي بانسان، رياضته المحببة، القفز فوق المتاريس واستيعاب الصعاب واحتواء المشاكل بل وتحويل مسارها ـ أحياناً ـ لخدمته!

كنت اعرف أني سأتقاسم حواراً مع رجل، كان يلهث وراء الاخبار، فأمسى هو «خبراً» حياً.. يلاحق اينما ذهب وتحاصره عيون العالم واذانه.

وانا ذاهب اليه، تذكرت عبارة رددها لي في التليفون «خارج مصر ليس لي قبر...». تذكرت أيضاً أنه قال لي «أنا بالدرجة الاولى مخبر صحفي لا أكثر»!

اعطاني «مفتاحين» للحوار.. واحد عن «ابعاد» انتمائه لمصر والثاني عن «ابعاد» انتمائه للمهنة.

ها انذا أمامه وجهاً لوجه. أضافت اليه «السنون» ولم تأخذ منه. تبادلنا بضع كلمات. كنت أبدأ واشد خيوط انتباهه. وان كنت لا أخفي ان الكلمات تخلت عن لساني في لحظة، لأن الحديث الصحفي بين اثنين من ابناء المهنة يبدو اكثر صعوبة. تماماً كما يتولى طبيب علاج طبيب اخر وعندما «اشتعلت» اللمبات في رأسي عاد لساني إلى صوابه.

● **أستاذ هيكل، قبل بداية حوارنا المسجل، أرجو أن ترشدني إلى الممنوعات في حديثنا فأعبرها.. والمسموحات فنجلس معاً على مائدتها. لا اريد ان انزلق إلى موضوع لا تود الكلام فيه. باختصار ما هي «المحاذير» عبر هذا الحوار؟**

■ اعتدل هيكل في جلسته. تماماً كجندي في حالة تأهب وراء مدفع سريع الطلقات.

ـ لا محاذير على الاطلاق واعتقد ان احداً لا يستطيع ان يتوجه الى الافق الانساني الاوسع الا من نقطة بداية محددة هي وطنه وما عليه من الناس والقضايا وهذا يحقق لقاءه بالعالم الاكبر. اسال ما تشاء /ShooT أي.. انطلق..

دار الشريط داخل المسجل ليحفظ حتى همهمات هيكل من الضياع!

وفي الحقيقة لم اكن اريد ان «انطلق» وكأني اؤدي مهمة جافة كلفت بها. هناك فارق كبير بين «الواجب» و «الرغبة»!

لقد تمنيت ان اعيش عبر الحوار قصة حب على الاقل خلال الوقت الذي حدده لي الاستاذ هيكل! ذلك اني اؤمن ان الحديث الصحفي كقصة حب. نعم، فيه من قصة الحب بعض عناصرها. الموعد. اللهفة. اللقاء. الابحار. المغامرة. الكلمات. الشطآن المجهولة. الغموض. اللمسات. الوعد بلقاء اخر. ثم.. الفراق!

المهم. تركت الاشياء الصغرى تقودنا قبل ان نضبط «موجة» الحوار. لاحظت ان الاستاذ هيكل يختلس النظرات لكتاب بغلاف مصقول جذاب موضوع امامنا. وعينا هيكل ـ بالمناسبة ـ تفضحه. هما شاشة داخلية في دائرة تليفزيونية مغلقة، تستطيع ان تقرأ عليها احاسيسه ومشاعره!

ـ الكتاب جديد. انه احدث كتبي. عنوانه بالانجليزية معناه «عودة اية الله». كنت قد انتهيت منه قبل ان ادخل السجن، وحين افرج عني وجدته مطبوعاً «وكانت أجمل هدية».

قالها هيكل بسعادة موزعة ـ بالعدل ـ على كل أعضائه فهو «صورة وصوت و.. رأي»!

● **قلت لهيكل وانا اختار عبارتي بعناية. «قلمك هاجر بعض الوقت» ربما لان الكتابة عندك وظيفة لا ارادية. كالدورة الدموية. كالتنفس، كالجوع. كالعطش! لقد كنت اقرؤك خارج الحدود واشتري كتبك الغالية الثمن.. خارج الحدود. و..**

■ وقاطعني هيكل بطريقته: «بين قوسين، ليس لي علاقة بتحديد ثمن كتبي. هذه مهمة الناشر» استمر، ماذا كنت تريد ان تقول؟

● **قلت ـ بعد الجملة الاعتراضية ـ بنفس النبرة الحميمة: كنت أريد أن اقول، ألم يشتق قلمك لمصر؟ تنهد هيكل. التنهيدة لها الف معنى وما تمنيت ان اجري حواراً مع أحد على شاشة التليفزيون الا مع.. هيكل. اجاباته تسبق صوته!**

■ اكتب على لساني ما أورده دائماً: خارج مصر ليس لي قبر وليس لي عمل وليس لي مكتب وليس لي أي شيء. بل أنا لا أطيق البعد عن مصر وقلت مرة للصديق جوردون بروك شبرد مدير تحرير صنداي تلغراف وهو يغريني بالبقاء في لندن.. «لقد غبت عن وطني أكثر من شهرين وهذا أقصى ما أطيقه في فراقه». وأتذكر أني سألته «ما الذي يتبقى من شجرة تخلع من تربتها؟ لوح خشب!!» هذه أرضية للاجابة عن سؤالك لتكن الاطار، وتبقى الصورة. لقد قيل يوماً أن الصحفيين المصريين يكتبون خارج مصر ضد مصر. ولم يكن هذا الكلام دقيقاً بالنسبة لي على الاقل. ان الناس على قناعة أني فيما كتبته لم أقل كلمة واحدة في حق مصر. بل اصارحك أني في وقت من الاوقات تمنيت أن يلتقط أحد مقالاً واحداً أسأت به إلى مصر وينشره هنا، ليقدم الدليل على ادانتي. ويكتب بالمانشيت الأحمر أو الأصفر: «هذا ما يقوله هيكل بعد تاريخه» لكن شيئاً من هذا لم يحدث.. وظل الطنين!

● **قلت: لكنك اختلفت في الرأي، وبلغتك (لم يعجبك الطقس)، فكان الصدام، مع انك تعترف أن «التقاليد الحضارية في مصر تستطيع أن توفر ـ في بعض الأحيان ـ قدراً من الأمان لرأي مخالف أو مختلف وهذا أصعب في أي مكان خارج مصر في العالم العربي..».**

■ قال هيكل بسرعة الضوء.. «نعم قلتها انصافاً، ونعم اختلفت. اختلفت كصحفي هناك قضايا تحل بالحوار وتقول رأيك فيها بكل الأدب وكل الذوق، وهناك قضايا تشعر أنها مسألة مبدأ ومفترق طرق.. وربما كنت مخطئاً وربما كنت على صواب، لكن يبقى الحاكم هو صاحب القرار في النهاية فهو الرجل المنتخب دستورياً وهو الذي يملك سلطة القرار. ولم يكن هناك مناص من أن أقول رأيي واتحمل مسئوليته حتى النهاية، وأعترف أني تصرفت ـ كما يجب أن يتصرف

الصحفي ـ صاحب الرأي في أي مكان في الدنيا وفي العالم الثالث على وجه الخصوص وهنا وقع الصدام. لقد كان الحوار مفتاحاً لعديد من القضايا الواردة.

● **و.. فجأة قفز هيكل إلى موضوع اخر. ربما كان متصلاً ـ في ذهنه فقط ـ بما يرويه لي لكنه قفز. فقفزت بانتباهي معه. أصغي له!**

■ ـ «أنت تذكر في عام ٧٣، حاولت السلطة أن تضع مقالاً لي تحت الرقابة. كان عنوان المقال «كيسنجر وأنا مجموعة أوراق». أنت عشت هذه الايام وعايشت الظروف الملازمة للمقال، فما زال لك ذاكرة لم تصدأ بعد! يومها رفضت أن تحال أوراق المقال إلى. الرقيب! ربما كان الاخرون يقبلون وبكل استسلام أن يقرأ الرقيب ما يكتبون، وليس هذا شأني. كان هذا أيضاً واحداً من أسباب الصدام فقد قيل لي «كتاباتك بتعمل لي بلبلة»!

● **كل أجهزة هيكل «الداخلية في خدمته. ذاكرته، مرصده، ذكاؤه». واستطرد يقول..**

■ ـ لقد قيل يوماً أنه في وقت من الأوقات كانت الصحافة مغلقة علي بالضبط في زمن عبد الناصر. وقيل أني كنت أحتكر الأخبار لنفسي. قيل ما قيل. وفي نفس الوقت كان احسان عبد القدوس يكتب وأحمد بهاء الدين يكتب وجلال الحمامصي يكتب ومصطفى أمين حتى عام ٦٥ يكتب ويوسف السباعي يكتب. وعندما كنت رئيساً لمجلس ادارة أخبار اليوم قمت بعدة خطوات أعتز بها وأنت شاهد وموجود. عينت جلال الحمامصي مشرفاً عاماً على التحرير. أعطيت موسى صبري سلطات رئيس تحرير. طلبت من أنيس منصور أن يكتب باباً ثابتاً واخترت بنفسي عنوانه. جاء أنيس بثلاثة عناوين وكان متردداً فاخترت «مواقف» الذي يكتبه حتى هذه اللحظة. قل لي كيف تغلق الصحافة على صحفي. انني في حيرة من أمر بعض الأقوال التي أحاطت بي. لقد كنت أحافظ على كرامتي كصحفي. ثم أنه كانت هناك ثقة بيني وبين عبد الناصر. ودخلنا معاً في مناقشات لم أحجب رأيي عنه فيها. لعلك تذكر أيام الاتحاد الاشتراكي الذي حاول أن يكون حكومة فوق

حكومة، أو حكومة إلى جانب حكومة وأغرق نفسه في متاهات فكرية تعبر عن أشخاص ولا تعبر عن فكر جماعي. في تلك الاثناء كنت أنادي في مقالاتي بـ «تحييد أمريكا» فماذا حدث؟ خرج أربعة كتاب في «الجمهورية» بأربع مقالات كل مقال صفحة، تهاجمني: فاين الصحافة المغلقة على هيكل؟! لقد كنت بالنسبة لعبد الناصر صديقاً. كان يثق في خطي الاستراتيجي وفي سلامته. كنت اكتب، ولا يقرأ مقالي كما كان بعض الناس يتصورون.

● **قاطعته همساً: أرجو أن تصحح معلوماتي ـ للتاريخ ـ كنت أعرف أنك تقرؤها له يوم الثلاثاء ظهراً. وأنك تمنع دخول أحد مكتبك في هذا الوقت لتأخذ براحك في الحديث التليفوني. وأتذكر الآن أني عندما غضبت السلطة عليَّ عام ٦٤ في منتصف أكتوبر على وجه التحديد، لجأت لك، ففتحت قلبك وصدرك واحتملت عبارات سخطي وامتصصتها حتى دق تليفون بيتي لتبلغني بعودتي إلى موقعي في روز اليوسف. أتذكر أنك طلبت تأجيل الموعد من الثلاثاء إلى الأربعاء!**

● قال هيكل: للتاريخ أيضاً، لم يكن يقرأ عبد الناصر ما أكتب لا يوم الثلاثاء ولا يوم الأربعاء ولماذا تذهب بعيداً، ألم يقولوا أن عبد الناصر كان يفرك في جيوبه ويعطيني أخباراً. أنني أعترف لك، ربما لأول مرة، أني شاركت في «صناعة أخبار» ولم أكن مجرد صحفي أجري وراء خبر، إنني صاحب فكرة فتح قناة السويس عام ٧٥ صارحت بها الرئيس السادات ولقيت «قبولاً» لديه. وأنا الذي كتبت الخطة وقتئذ. ولو كنت وقتئذ في «الأهرام» أليس طبيعياً أن أنشرها قبل أي أحد آخر. ولكني أعرف الخطوط الفاصلة للأشياء.

● **قلت لهيكل: أظن أنه مضى على احتجاب اسمك عن الاهرام سبع سنوات؟**

■ قال بسرعة: هل ابتلعني الصمت؟ لقد فتحت دكاناً صغيراً وأخرجت للعالم الخارجي بعشرات اللغات مجموعة كتب. نقلت نفسي من السوق المحلي إلى السوق الدولي واستطعت أن أثبت أنه من الممكن لكاتب مصرى أن يكتب في

التايمز والنيويورك تايمز والصاندي تايمز. أدعي أنني كنت مخلصاً لمهنتي قدر استطاعتي!

● **قلت معلقاً على تواضعه الجم: انت صحفي مزروع كالرمح في زمن الكلمة العربية.**

● اجاب معلقاً على تعليقي: مصر ـ وحدها ـ هي التي أهابها اجلالاً و «ملء عين حبيبها» كما يقول بيت الشعر المشهور!

● **قلت لهيكل: لهذا لم يكن غريباً أن أسمعك تقول أن موقع «الجرنالجي» لديك هو الموقع الاثيري. لهذا أدرت ظهرك للمناصب دون قطرة «ندم».**

● قال هيكل: الذاكرة الانسانية ليست مسطحاً من الماء الاسن العكر. لست احلم بمنصب مهما تعالى قدره. لقد عرض عليَّ الرئيس الراحل عبد الناصر «الوزارة» عام ٥٦. وعرض غلى الرئيس السادات مناصب اكثر من الوزارة. وكنت طول حياتي ارفض واعتذر لا لاني متعفف على «المنصب المرموق» ولكن لان لي فلسفة بسيطة للغاية وهي أن كل انسان ميسر لما يقوم به من دور أنا اعتقد انه مرسوم لي أن اؤدي دور الجرنالجي. عيناك تسألني لماذا أصر على كلمة «جرنالجي» لاني أشعر برائحة حبر المطبعة فيه وأراه مناسباً لاحلامي أريد أن أكون دائماً Reporter مجرد مخبر صحفي بالدرجة الأولى!

● **قلت لهيكل ـ وفي رأسي ـ هذا الحب والوله للمهنة الذي «اورثه» لبعض تلاميذه الذين دلفوا إلى مواقع مرموقة: صلاح جلال ومكرم محمد أحمد..**
ـ دعني اسألك عن معنى «الصراحة» التي استخدمتها في مقالاتك..
هل هو كشف النقاب عن أشياء لا نعرفها. هل هي معلومات تعرفها انت ونجهلها نحن.. ماذا بالضبط؟

■ قال كاتب بصراحة: ليس للصراحة مفهوم اخباري.. الصراحة ـ رأي ـ أولاً واخيراً. الصراحة أن تعرض أمام قارئك قضية، وتحللها وتقول رأيك، كما تعتقد، وتتحمل شجاعة معتقداتك!!

● **صمت هيكل قليلاً. شرد مني لثوان. عقله الكومبيوتر في حالة عمل.. اجهزة ارساله واستقباله لم تتوقف رغم صمته!! كان لا بد أن «استعيده» بسرعة. اضطررت أن أسأله سؤالاً شخصياً. (لماذا كنت تقابل زوارك في فندق المريديان بعد الافراج عنك؟) لقد قرأت في صحف العالم عبارة طريفة تقول ان الجناح رقم ٨٢٧ في الفندق تحول إلى «مزار اعلامي»!!**

■ ضحك وقال: بيتنا ـ كأي بيت مصري ـ كان في حالة بياض. زوجتي اقترحت أن «نجدد» شيئاً بعد عشرات سنوات. كان المقاولون يعملون بهمة ونشاط حتى قبض عليَّ ذات ليلة، وما زلت اعتبر بالمناسبة أكبر فشل في حياتي، انني ما زلت عاجزاً عن سر حملة الاعتقالات الأخيرة التي أودت بي إلى السجن!! نعود للموضوع. كانت زوجتي خلال عملية «البياض» في بيت إبني «علي» فلما افرج عني قالت أن بيت علي مثل علبة السردين، لا يسع أكثر من خمسة أشخاص واقترحت هي الاقامة في فندق ريثما ننتهي من البيت!!

● **تأكدت أن الأستاذ هيكل عاد إلى «موجة» حوارنا المشترك. فقلت له، أريد شهادتك على عصر عبد الناصر؟**

■ قال وقد لمعت عيناه: السؤال كبير، الاجابة عليه ستكون في كتابي القادم، لكني قلت لك أن مصر قد صورت في عصر عبد الناصر وكأنها تحولت إلى معسكرات اعتقال وكأنها كانت طبعة رخيصة لعصر هتلر في عهد المانيا النازية، وفي هذا تجن كبير على الحقيقة. لقد كنت الصحفي الوحيد الذي شهر قلمه في «التجاوزات» التي حدثت في عصر عبد الناصر وهي تجاوزات تحدث في مراحل التحول التاريخي. لم انتظر وفاة عبد الناصر لاشعر أني صحافي حر..

● **قلت: في وقت من الاوقات، كنت أشعر انك «تملك» وحدك، حق التصدي للتجاوزات. لم يكن باستطاعة أحد أن يستأصل حنجرتك!**

■ قال هيكل وقد ارتفع باجابته إلى ما هو أكثر شمولاً: تتحقق وقائع التاريخ وحقائقه عن طريق نشر وثائقه وعن طريق شهادات الذين عاشوا تفاصيله وعن طريق فتح باب الدراسة والمناقشة والحوار والتحليل. هذا ما تفعله الدول

المتقدمة لتجلو الحقيقة.. بدلاً من منطق الادانة المطلقة. منطق شجب عصر بأكمله!!

● **قلت لهيكل: عندي سؤال، كان مفروضاً أن أبدأ به الحوار لأنه يلح علي منذ رأيتك. اريد أن أسألك كيف استقبلت «طعنات» الأصدقاء والزملاء وفي رأسي حكايات نشرت ليلة القبض عليك وكأنها «انتصارات» صحفية.. مع أن القبض على «كاتب» حادث يهز الضمائر. قل لي، ما هي «العبرة» التي تشعل شموعها في عتمة المحن؟**

● قال: لقد كنت أحس بدين في عنقي لمشاعر صامتة أبداها كثيرون في مصر أصالة ونبلاً، كذلك كنت أحس بنفس الدين في عنقي لاهتمام عربي وعالمي أنستني أصداؤه في جو مرهق وموحش. هذه حقيقة، أما الحقيقة الثانية فانا عندي قناعة انه (لا يصح الا الصحيح). وعندي قناعة أن (كل رجل موقف) اما لعبة الصحافة المصرية فلا دخل لي بها: أنا عاكف على كتابة كتب. ولعبة السياسة المصرية، أراقبها من بعيد وأرجو التوفيق للرئيس حسني مبارك، فهو رجل دوغري وصريح ويتكلم بوضوح وبدون مسرحة ما يقول. إننا نساعده كثيراً في هذه المرحلة بصمتنا، الايجابي.

● **شعرت أن هيكل لم يرد على سؤالي. زاغ مني ربما شعر أنه فوق هذه الجراح الصغيرة. ربما تسامى على الحديث فيها. ربما!!**

لكني عدت وسألته عن «هيبة» الصحافة المصرية، كيف نستعيدها؟

صمت هيكل واكتسى وجهه بشيء ما من الضيق والألم وقال:

■ ـ للاسف أنا مجروح من المهنة.. صحافة العالم كله وقفت معي. أنا اعتقد أني أديت دوري المهني واديت دوري لزملائي. إن رصيدي بدون تشويه، يثبت لك قدر وحجم العطاء المهني. وأنا قابل للحساب عن كل ما كتبت وعن كل موقف اتخذته. وعندما انظر للوراء لا أشعر بما يثقل ضميري. لقد حاولت أن أكون أميناً مع نفسي. لقد كتبوا عني الكثير، فهل قرأت لي رداً. أنا لم أرد ولن أرد، لن أدخل في حوار مع أحد. أنا أعرف قيمة نفسي ولا أغفل قيمة الاخرين، ولا اقلل من قيمتهم!!

● **قلت لنفسي همساً: لا يمكن أن يكون هذا الرجل صلباً إلى هذا الحد. إنه انسان قبل كل شيء. لقد كان هنري ميللر يقول: «حتى في أعتى رجال السياسة بصيص من الانسانية». وكان برتراندراسل يرى أن الانسان «حزمة أعصاب وأحاسيس هيكل في منطقة الجفاف». هل حزمة احاسيس هيكل في منطقة الجفاف، فسوف اسأله: ما موقفك ازاء «غدر» البعض بك..**

ويبدو أن السؤال جاء في توقيته النفسي والتسلسل المنطقي للحديث..

■ فقد قال: أنا أعطي دائماً العذر للطبيعة الانسانية. هناك موقف لم أفهمه.. حين كنت في السجن لم أقرأ شيئاً. وحين خرجت جمعوا لي ما كتب، فوضعته في ملف مكتوب عليه «قراءات مؤجلة» ثم قرأتها اكتشفت أن صحافة العالم وقفت معي فيما عدا «الصحافة المصرية».. ثم بدأت أسمع «أعذاراً». من يقول لك «كان مضغوطاً علينا» و «كنا مضطرين» و.. «أنت عارف الظروف» و «سامحنا»!! واعترف لك أني أقفلت هذه الصفحة عملاً بمبدأ «أعط العذر للطبيعة البشرية».

● **كان لا بد من تغيير الموضوع. لاحظت أن الحوار أخذنا وكنت قد اشتقت لفنجان قهوة مضبوط ولكني كتمت رغبتي حتى أستنفد الوقت الذي حدده لي هيكل عن آخره. ذلك أن كل دقيقة معه «حبلى» بمفاجأة أتوقعها.**

قلت له: صحافة معارضة مستنيرة، ما معناها في ذهنك!!

■ قال: اسمع يا مفيد. الصحافة في كل العالم جزء من الحياة السياسية. فإذا كان هناك تعدد سلطات في أي بلد، فمن الممكن أن تكون الصحافة سلطة مستقلة. الصحافة في العالم الثالث أمرها مختلف. هناك سلطة واحدة وأنت تعلم ظروف هذه الحقيقة نحن ننتقل من المرحلة القبلية التقليدية الى مرحلة الشرعية الدستورية القانونية. ومروراً، يبرز بالطبع دور «الرجل الواحد» وهي مرحلة الانتقال. في أوربا مثلاً، برز كروميل وبسمارك ونابليون. نحن نمر بهذه المرحلة وعندنا شخصيات على مقاسنا يقف في أولهم عبد الناصر الذي ما زلت أكرر وأقول أنه فعل شيئاً ضخماً في منطقتنا وأعاد صياغتها وقلب مفاهيمها. هذه الشخصيات التاريخية لا تشترى من «السوبر ماركت»!! نتاج ظروف تاريخية. الصحافة في العالم الثالث هي جزء من الحياة السياسية، فاذا كانت سلطة واحدة،

فالصحافة متصلة بهذه السلطة الواحدة. وعلى الصحفيين أن يقرروا هل هم «ذيل» لهذه السلطة أم هم بقرب رأسها؟ أنا اعتقد أن مكاني بقرب رأسها وأعلم مقدماً أني متناقض مع السلطة وليس بالضرورة ضدها. أنا طرف محاور للسلطة. لا يمكن أن نتكلم سياسة خارج التاريخ. لا بد أن تعرف طبيعة المرحلة فاذا كانت طبيعة هذه المرحلة «الأحادية». فانت كصحفي تتعامل مع السلطة بقيمتك. لا أحد يعطيك قيمتك.. أنت وحدك الذي يفرض قيمته. لقد كان وما زال عندي قناعة أنه لا صحافة خارج السياسة. وقلت رأيي.. قلته بأدب أحياناً، وقلته بالهمس أحياناً، وقلته بالايماءة أحياناً، ثم قلته بما هو أبعد من الهمس.. وحين صارت المسألة، مسألة مبدأ ومصير.. قلت رأيي ومضيت!! لقد اختلفت مع الرئيس السادات في قضايا كثيرة. اختلفت معه في قضية «نقل الصحفيين». اختلفت معه في آرائه حول «عام الحسم». اختلفنا في «تحييد أمريكا». اختلفنا حول مفهومي لدور «الاتحاد السوفيتي» المستفيد من حالة اللا سلم واللا حرب. كنا بالحوار نتفاهم.

وكان هو صاحب الحق في اتخاذ القرار وتكوين المعتقد. كنت فقط أقوم بدوري المهني وأغطي الجرنال اخبارياً. حين جاءت قضية «فك الارتباط».. اختلفنا ولم ينفع الحوار. فكان الصدام. انتهى بأن قال عبارة من كلمتين «سيب الأهرام». قبلت رأيه وتركت الأهرام. عرض عليَّ بعدها أربعة مناصب: نائب رئيس الوزراء، مستشاراً للأمن القومي، رئيساً للديوان ثم الصحافة بشرط الالتزام، واختلفنا على مفهوم الالتزام. لقد اختلفت حتى الصدام لأن القضية كانت «مصير» و «مفترق طرق»..

● قلت لهيكل هل تتصور ـ في مرحلتنا القادمة ـ الغلبة لصحافة الخبر أم.. صحافة الرأي؟

■ قال بسرعة وكأنه حسم الأمر قبل سؤالي: سواء كان خبراً أم رأياً: فما ينبغي أن يسود هو صحافة الاستنارة. لقد كنت سعيداً برأي الرئيس مبارك حين قال ان العمل الوطني الجاد يحتاج أن نفتح صفحة جديدة معنى ذلك أن البلد مقبلة على مرحلة خطرة. والخطر عندي ليس فقط مسألة الإرهاب فما حدث على المنصة ـ يوم

٦ أكتوبر ٨١ ـ ليس حادثاً فردياً . . ولو تصورت هذا . تقع في خطأ كبير. ليس هناك «إرهاب» إلا في مناخ يهيىء له. على الأقل يسهل. على الأقل يعطي الجو المناسب. على الأقل يمهد. ونحن لدينا مناخ اقتصادي واجتماعي يمهد. ويهيىء!! نعم، ليس هناك إرهاب إلا في مناخ يمكن من الإرهاب!!

● واعتدل هيكل، وأشعل سيجاراً وقال: دعني اسألك سؤالاً محدداً.

ـ لماذا نتكلم عن الفساد، وندير ندوة للنفاق ـ فقط ـ بعد حادث المنصة لا بد أن للحادث عمقاً. إن حادث المنصة. مزق القناع الذي كان يغطي وجه الحقيقة في مصر. صحيح لقد كان هناك أضرار. ولكن وهج الرصاص نبه إلى ما هو أخطر. .

ثم صمت هيكل وقال وهو يتنهد: هذا هو الجزء الظاهر من «عائمة الجليد» والمختفي أكثر!! و.....

وللحوار بقية.